Blue #22

الكاتب ٢٢،٢١

للثقافة الإنسانية والتقدم

الثمن : ١٠ شواقل

Digitized by Birzeit University Library

لن يصح الا الصحيح

استقبل اهالي الضفة الغربية وقطاع غزة مناحيم ملسون ، استقبالا حافلا ، اذ كان واضحا الهدوء النسبي الذى خيم على المنطقة قبيل ٨١/١١/١ ، الا ان الوضع انقلب رأسا على عقب في اليوم الاول لمجيء ملسون الى مكتب الادارة المدنية ، وتصاعد الموقف بسرعة الى درجة دفع السلطة الى اغلاق جامعة بيرزيت ، ومحاصرة جامعة بيت لحم ،

كذلك فان الدراسة معطلة في كثير من مدارس مدن الضفة الغربية احتجاجا على البدء بتنفيذ مخطط الادارة الذاتية .

يبدو ان السلطات الاسرائيلية في المناطق المحتلة تصر على تجاهل رغبة مواطني هذه المناطق ورفضهم القاطع والصريح ، لما يسمى بالادارة الذاتية ، ان الامعان في تجاهل طموحات الشعب الفلسطيني ، لن يجر غير مزيد من الويلات على هذه المنطقة وسيعزز احتمالات نشوب حروب جديدة تغرق المنطقة بالدمار والموت ، ان السياسة التي تتبعها حكومة اسرائيل انما هي قصيرة النظر وبعيدة كل البعد عن أدنى منطق وابسط قوانين ، فالسياسه التي تتجاهل رغبة الشعب وطموحات أصحاب العلاقة المباشرين ، انما هي سياسة تقوم على منطق القوة ، وفرض الامر الواقع ، وهذه السياسة خاسرة في النهاية ، قد تنجح حكومة بيغن في فرض ما يسمى بالادارة الذاتية ، ولكنها لن تنجح طويلا فكل ما يبنى بدون اساس لن يكتب له الحياة طويلا ، ولا يلبث ان ينهار ، وفي آخر المطاف لن يصح الا الصحيح والصحيح هو تمكين الشعب الفلسطيني من تقرير مصيره بنفسه واقامة دولته الفلسطينية المستقلة وما عدا ذلك ، ليس غير فقاعات لن تعيش طويلا

ان اغلاق جامعة بيرزيت ، وتعطيل الدراسة في جامعة بيت لحم ، وحرمان الاف الطلبة من الوصول الى جامعاتهم ، وممارسة حقهم في التعلم والدراسة ، تتنافى وابسط قواعد المنطق في عصر يحرص أهله على اتباع أساليب وممارسات عصرية حضارية ، وان قيام اعداد كبيرة من الشبان اليهود ، من القوى الديمقراطية في اسرائيل بالاعتصام في حرم جامعة بيرزيت ، ثم التظاهر في رام الله ضد اغلاق جامعة بيرزيت لهو دليل على ان السياسة المتبعة في المناطق المحتلة ، هي سياسة خاسرة ولن تجدى نفعا ، ولن تحقق غير مزيد من وضوح الرؤية لحقيقة الاحتلال الاسرائيلي . سواء أكان هذا الاحتلال مدنيا أم كان عسكريا فسيان ذلك ، وقد اثبتت الاحداث الاخيرة صحة ما نقول .

المحـــرر

Digitized by Birzeit University Library

جامعة بيرزيت
الكتبة
4 JAN 1982
Library
BIRZEIT UNIVERSITY

الكاتب

للثقافة الاشتراكية والتقدم

المراسلات: رام الله ـ ص.ب ٩٩٥
المواد الواردة لا ترد إذا لم تنشر

صاحب الامتياز والمحرر المسؤول
أسعد الأسعد ـ القدس

العددان ٢١ و ٢٢ | تشرين ثاني ١٩٨١ | السنة الثانية

المحتويات

نظرة على الحركة الثقافية الفلسطينية	اسعد الاسعد	٢
في الذكرى الاولى لرحيل ابو سلمى		٥
في افتتاح المهرجان التذكاري للاديب الراحل " ابو سلمى "	اميل توما	٨
ابو سلمى ضمير فلسطين	ابراهيم العلم	١٠
في ذكرى " ابي سلمى "	اسعد الاسعد	١٣
بقع الدم ـ قصة	فايز منصور	١٤
مثقفونا وظاهرة تعدد الشخصيات	يوسف ابو سمرة	١٦
لقاء مع الشاعر المصري سمير عبد الباقي		١٩
الذكرى المحاربة ـ قصة	فاطمه الشامي	٢٤
أتبرع رفيقا لا مرشدا ـ شعر	سامي الكيلاني	٢٦
ـ ناتاشا والحب على طريقة الفقراء ـ قصة	سعود قبيلات	٢٩
ـ قطرة الماء اذبحك واشرب أشرب ـ شعر	عيسى قراقع	٣٢
ـ من تاريخ العائلات الفلسطينية	موسى علوش	٣٣
اليعسوب ـ قصة	فرج المالكي	٣٦
رسالة باريس	محمد المنوفي	٣٨
قراءة للصبار	عطا القيمري	٤٢
اليقظة ـ قصة	جميل الحوشاني	٥١
بوشكين منشد الحرية ـ ثقافة		٥٥
صفحة في اللغة ـ بحث	فضل الربماوي	٥٧
هالو بيروت ـ شعر	عطاالله قطوش	٥٨
تعاويذ لم تكتمل بعد ـ شعر	عبد الناصر صالح	٦٠

ترتيب المواد يخضع لضرورات فنية | السعر : ١٠ شواقل

Digitized by Birzeit University Library

نظرة على الحركة الثقافية الفلسطينية

أسعد الاسعد

القسم الثالث

الشراع

تقدم المرحوم مروان العسلي بطلب للحصول على ترخيص لاصدار مجلة نصف شهريه جامعة، وحصل على الترخيص في عام ١٩٧٧ ، صدرت الشراع في مدينة القدس ، وكان المرحوم مروان العسلي صاحب تجربة طويلة في الفترة التي سبقت حرب عام ١٩٦٧ ، وبالتالي نجح في اخراجها وتبويبها وكان يقوم بذلك تصميما وتنفيذا الا ان مجلة الشراع ، لم تكن معنية بالثقافة والادب ، فقد كان توجهها نحو السياسه واخبار المجتمع والفن مقلدة بذلك المجلات اللبنانيه ، ورغم ذلك فقد كانت تحوى بين صفحاتها شعرا وقصة واخبارا ادبيه من حين لاخر .

الحصاد

في نفس الفترة اصدر المحامي حسين الشيوخي مجلة الحصاد في مدينة رام الله . وانصب اهتمامها على الاخذ من المجلات والصحف العربيه بالاضافة الى بعض اخبار المجتمع والسياسه والتعليقات ، عمل في "الحصاد" لفترة قصيرة كل من عصام العباسي ثم خالد نصره، نشرت موادا ادبيه محلية غير ناضجة ، توقفت عن الصدور عام ١٩٨١ .

الكاتب

مع بداية عام ١٩٧٨ ، بدأت تتبلور حركة ادبيه وطنيه اخذت منذ بدايتها طابعا تقدميا وطنيا بشكل عام ، ومع ظهور المجلات الادبيه والصفحات المتخصصة في الصحافة الوطنيه المحليه ، بالاضافه الى دور النشر المحلية الوطنيه ، ظهرت كتب ومؤلفات لكتاب الارض المحتلة ، عندها اتجهت الانظار نحو ضرورة اصدار مجلة تقدميه تعنى بشؤون الادب والثقافه والفكر ، كانت بعض الخلافات قد تشبت بين صفوف الكتاب والادباء اثر محاولة تشكيل تجمع للكتاب من خلال جامعة بيرزيت وفشل هذه المحاولة ، ثم فشل المحاولة التي سبقت ذلك ، من خلال مجلة البيادر ، وفي الاجتماع الموسع الذى حضره ما يقارب الثلاثون كاتبا واديبا في القدس ، تم الاتفاق على التقدم بطلب للحصول على ترخيص لاصدار مجلة اتفق على تسميتها الكاتب ، وعهد الى اسعد الاسعد بتقديم الطلب

Digitized by Birzeit University Library

كان ذلك في نيسان ١٩٧٨ ، وفعلا تم تقديم الطلب في ١٩٧٨/٤/٧ ، وبعد ستة أشهر جاء الرد بعدم الموافقة . فتم رفع قضية الى محكمة العدل العليا بواسطة المحامية فيليسيا لانعر وجاء الرد ايضا بعد ثلاثة أشهر بعدم الموافقة على ذلك وقد ورد في الرد اثنان وعشرون سببا واهيا ثم بدأت جلسات محكمة العدل العليا بين اسعد الاسعد ومحاميته من جهة ، ووزارة الداخلية الاسرائيليه من جهة اخرى واستطاع الحصول على الترخيص بقرار من المحكمة المذكورة في اكتوبر ١٩٧٩ ، ومنذ ذلك التاريخ و "الكاتب" تصدر تباعا ، رغم الظروف الصعبه التي تحول دون دوام انتظام صدورها وقد استطاعت الكاتب ان تلعب دورا ولا تزال في خدمة الثقافة الفلسطينيه التقدمية ، واستطاعت ان تستقطب عددا كبيرا من الكتاب والادباء الجادين ، ويكتب في الكاتب اليوم غالبية الكتاب والادباء الفلسطينين في الارض المحتلة .

صحافة الحزب الشيوعي الاسرائيلي واثرها في دعم ثقافتنا الفلسطينيه .

اسمرت حالة الذهول التي اصابتنا جميعا الى ما بعد انتهاء عام ٦٨ ، أدت الحرب الى رحيل عدد من المثقفين والكتاب الفلسطينين وقامت السلطات بترحيل عدد اخر منهم فيما بعد .

رغم ذلك فقد ظلت هنا اقلام كانت لا تزال تشق طريقها ، وتحاول ان تأخذ مكانا في الحركة الادبيه والثقافيه ، فأخذت تبحث عن متنفس لها ، فلم تجد غايتها في البدايه ، بعضها وجد ضالته في صحف ومجلات السلطه ، وبعضه الاخر ظل ملتزما الصمت ، والقليل اهتدى الى صحافة الحزب الشيوعي الاسرائيلي "الجديد" ، والاتحاد والغد .. "

لم يكن من السهل الحصول على الاتحاد او الجديد ، اذكر اننا كنا نقطع شارع يافا حتى ساحة "تسيون" حيث تقع مكتبة على زاوية الساحة . نشتري الجديد والاتحاد والغد ونخفيها تحت ملابسنا ونعود مسرعين لنلتهمها ونتداولها حرفا حرفا ، ونحن في غاية الشوق واللهفة ، كانت الاتحاد والجديد والغد زادنا الشهي والوحيد في تلك المرحلة ، لم نكن قد اعتدنا على مثل هذه الصحافة في الدول العربية ، شيئا فشيئا اخذنا نقرأ لكتاب وادباء من المناطق المحتلة أحيانا باسماء صريحة ، واحيانا اخرى باسماء مستعاره ، لكن فدوى طوقان كانت اول من كتب في صحافة الحزب الشيوعي الاسرائيلي من المناطق المحتلة بعد عام ٦٧ ، وكانت قصيدة بعنوان "رسالة الى طفلين في الضفة الشرقية" "كرمة وعمر" وذلك في العدد الرابع نيسان ١٩٦٨ ، وكذلك د. قدرى طوقان "الجو والمزاج" العدد ٧ سنة ٦٨ ثم ليلى المقدسيه "ليلى علوش" حيث نشرت قصيدة ، "غريبة على الكرمل" في العدد ٩ ، ١٠ ، ايلول ، تشرين اول ٦٨ ثم تتالت قصائدها في اعداد كثيره متتاليه ، ثم خليل توما ، قصيدة بعنوان "من المفكرة اليومية" في العدد الاول من سنة ١٩٦٩ وهناك ايضا ، ربحي حافظ "محمود شقير" حيث نشر منذ عام ٦٨ ، عددا من القصص القصيره منها "الخروج" في العدد الثاني شباط ٦٩. ثم تتالت قصائد وقصص ومقالات ودراسات كتاب وادباء الارض المحتلة بغزارة ، ورغم منع توزيع وتداول صحافة الحزب الشيوعي الاسرائيلي في المناطق المحتلة ، الا ان ذلك لم يشكل عقبة في منع تحول هذه الصحافة الى منبر اساسي ، لكتاب وادباء الارض المحتلة ، وازداد هذا الدور اهمية ، بعد ايلول من عام ١٩٧٠ ، حيث من الصعب ان تجد عددا من الجديد يخلو من مادة لكتاب وادباء الارض المحتلة .

ولعل اهمية الجديد والاتحاد والغد لا تنحصر في عملية النشر فحسب ، بل تتعدى ذلك الى كونها المنبر التقدمي الوحيد الذي اطل علينا ، في وقت كنا في مسيس الحاجة الى نقطة ضوء تشدنا من ليل الهزيمة وحطامها ، فكانت صحافة الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، بمثابة المدرسة التي تتلمذنا عليها ، واستطاعت ان تدفع بالحركة الثقافية الفلسطينيه ، نحو واقع جديد ، استطاع ان يقف على قدميه ويبدأ مسيرته ، واقع اكتسب ارضية صلبة ، يقف الان عليها بقوة وثقة .

Digitized by Birzeit University Library

ويتقدم نحو تحقيق طموحاته الكبيرة ، واهدافه العظيمة ، لخلق ثقافة فلسطينية وطنية تقدمية ، تأخذ مكانها في الحركة الثقافية الانسانية ، اعود للتأكيد ، ان "الجديد" لعبت الدور الاساسي في السنوات الاولى وظلت المنبر الوحيد حتى السنوات الاولى من السبعينات حين اصدر جاك خرمو مجلة البيادر حيث اخذت البيادر منذ صدورها عام ٧٥ ، قسطا اخر مهما في حركتنا الثقافية ولا تزال ، ثم تتالت بعد ذلك ، الشراع ثم الكاتب ، ولعل من الانصاف ، ان اذكر الصفحات الادبية لصحف الفجر ، والشعب والطليعة والميثاق ، ثم الدور العظيم الذى يلعبه ملحق الفجر الادبي الذى يصدره علي الخليلي ، واذكر هنا الى جانب الجديد والغد الصفحة الادبية لجريدة الاتحاد ، التي اسهمت ايضا منذ البداية مع الجديد والغد ، في استقطاب الاسماء اللامعة من رواد الحركة الثقافية في زمن الاحتلال وأورد هنا بعض الاسماء التي كتبت مرات عديدة في صحافة الحزب الشيوعي الاسرائيلي "الاتحاد والجديد والغد" ، فدوى طوقان ، خليل توما ، ليلى علوش ، ربحي حافظ "محمود شقير" عبد اللطيف عقل ، اسعد الاسعد ، عادل سماره ، محمد ايوب ، زكي العبله ، علي الخليلي ، محمد عبد السلام ، داعس ابو كشك ، موسى البديرى ، عبد الناصر صالح ، عبد القادر صالح ، جمال بنوره ، فخرى صالح ، سميرة الشرباتي ، فضل الربماوى ، غريب عسقلاني ، ابراهيم جوهر ، جميل السلحوت ، سامي الكيلاني ، مفيد دويكات ، محمد كمال جبر ، سميح فرج ، عطا الله قطوش ، يوسف حامد ، وغيرهم كثير .

ملاحظـــه :

هـذه الدراسـه هـي تلخيص سريـع لدراسه موسعـــه وموثقـه يقـوم بهـا الكاتـب اسعد الاسعد ، حـول الثقافـه الفلسطينيـــه فـــي ظـل الاحتـــلال .

تنويـــه :

ورد فـي الحلقه الماضيه اسم يوسف ، عنـد الحديث عن مجلـه الوان ، والمقصود " يوسف نفـاع " .

— عند الحديث عن جريده الفجر ، ورد ان محمد البطراوى تسلم رئاسه التحرير لعـــده اشهر ، والصحيح مـدة عـام ونصـف .

— عند الحديث عن الفتره الاخيره من مجله البيادر ورد ان عادل سماره اصدر المجلـــه والصحيح انه عمـل محررا فيها لفتره قصيره ، ثم انقطع عن العمـل بها رغم وجود اسمه كمحـــرر في المجلـــة .

Digitized by Birzeit University Library

في الذكرى الأولى لرحيل «أبو سلمى»

«كلنا على الدرب سائرون»

الشاعر الفلسطيني ابو سلمى ...

كلمـــة المحامي حنا نقاره

اقيم في مدينة الناصرة بتاريخ ٨١/١٠/٢٤ مهرجان لاحياء الذكرى الاولى لرحيل الشاعر الفلسطيني الكبير (ابو سلمى) حضر المهرجان جمهور غفير من كافه أرجاء البلاد ، وشارك فيه بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس ، توفيق زياد رئيس بلدية الناصرة ، د. اميل توما ، المحامي حنا نقاره ، فدوى طوقان ، عصام العباسي ، أسعد الاسعد ، ابراهيم العلم ، فوزى عبد الله ، سالم جبران ، حسن بشارة ، شكيب جهشان ، حلمي حنون رئيس بلدية طولكرم ، د. حيدر عبد الشافي ، وزكي الكرمي .

والقيت في المهرجان برقيات تضامن واعتذار عن عدم التمكن من الحضور من بسام الشكعة ، وحلمي حنون ، وحيدر عبد الشافي ، بسبب منعهم من حضور المهرجان من قبل السلطات . ونعيد هنا نشر كلمات الدكتور اميل توما ، ابراهيم العلم ، أسعد الاسعد ،

وتحدث المحامي حنا نقاره صديق عمر الشاعر ورفيقه في كل دروب الكفاح ، عن نشأة ابو سلمى ودراسته وشعره الذى استمده من حياة وطنية ومرابعه ونفحاته ،وعن التزامه بوطنه الى ابعد حدود الالتزام طيلة ايام حياته ، وبين كيف ان حب ابو سلمى لحسنائه كان يرتبط بحبه لوطنه وقال : تعرف ابو سلمى الى شاعر فلسطين ابراهيم طوقان عندما كان ابو سلمى يعمل مدرسا

Digitized by Birzeit University Library

في المدرسة البكرية في القدس ، حيث ابتدأ في نشر القصائد الوطنية والغزلية والمداعبات الادبية . وكان الشاعر والاديب والمربي جلال زريق قد وفد من طرابلس الشام الى القدس فتجمع الثالوث الادبي من ابي جعفر (ابراهيم طوقان) وابي سلمى (عبد الكريم الكرمي) (وابي رعد) جلال زريق حيث اغنوا الحركة الادبية والوطنية بالشعر الحديث والتعابير الجديدة .

ثم تحدث عن المناخ الادبي في ذلك الحين . واثر هذا الثالوث فيها . وعن هجرة ابي سلمى وكيف انه ترك وراءه في مكتبه في عمارة الكرملين في حيفا تركة ادبية وفكرية ونقدية . واشار الى دور الشاعر عصام العباسي في انقاذ هذه الثروة قبل ان تمتد اليها يد الهاجاناة عند احتلال حيفا عام ١٩٤٨ .

ورغم انه قد فقد الكثير منها فقد اوصلها المحامي حنا نقارة الى براغ لتسليمها الى الشاعر ولكن المنية عاجلته قبل ان تراها عيناه ، وهي الان في يد امينة ملكا للشعب العربي الفلسطيني

وقرأ الاستاذ حنا نقارة بعضا من ابيات هذه القصائد منوها انه لم يعثر بين هذا الكنز على قصيدة مدح واحدة

قصيدة الشاعرة فدوى طوقان

والقت شاعرة فلسطين الاولى فدوى طوقان قصيدة جديدة سكبت فيها من روحها الصادقة كل مشاعر التقدير للراحل العظيم وللدرب الذى سار عليه ويسير عليه ابناؤه من بعده .

كلمة الاستاذ ابراهيم العلم

والقى الاديب محمد علي طه كلمة الاستاذ ابراهيم العلم بالنيابة (لعدم تمكنه من الحضور وكانت الكلمة بعنوان (ابو سلمى ضمير فلسطين) تحدث فيها عن الدور السياسي لشعر ابي سلمى ورصد مواقفه القومية .

وتحدث عن الرؤيا الاجتماعية ورؤية ابي سلمى الواضحة لدور العمال والفلاحين في التغيير الثورى . ثم تحدث عن التماثل السياسي والغنى بين شعر ابي سلمى وشعر محمد مهدى الجواهيرى اللذين جعلا من الشعر سلاحا لمقاومة الاستعمار البريطاني . "انظر النص"

برقيـــــــات

وقرأ عريف الحفل برقية المناضل بسام الشكعة الذى كان من المفروض ان يشارك في الاحتفال ولكن سلطات الاحتلال منعته من ذلك . ثم قرأ برقية الدكتور حيدر عبد الشافي الذى لم يتمكن من الحضور كذلك لفرض الاقامة الجبرية عليه في قطاع غزة .

ثم ذكر ان السيد حلمي حنون لم يتمكن ايضا من الحضور لنفس الاسباب وقرأ برقية من السيد بشارة داود التي حيا فيها الذكرى .

كلمـة الشاعـر فوزى عبد اللـه

والقى الشاعر فوزى عبد الله كلمة بعنوان "ابو سلمى الفنان" ، فركز على موضوع الزمن في شعر ابي سلمى ، عن تواصل الزمان وامتداده وعدم انقطاع ما بينه من حركة وتفاعل ، فالماضي هو الجمال في الوطن بأهله . واورد نماذج فنية جميلة .

اما الحاضر المعاني الغاضب الذى ينبع من الواقع المر والفرقة والالم والتشرد فقد رصده بفنية الغضب الساطع على هذا الواقع الجديد . واما المستقبل ، فهو النور الساطع للغد والامل المشع الواثق بالنصر يصنعه الشعب . حقا .. لقد كان ابو سلمى واقعيا اشتراكيا موءرخا فنانا .

كلمة الاستاذ حسن بشارة

وتكلم الاستاذ المربي حسن بشارة مشيدا بذكرى ابي سلمى وذاكرا مناقبه ومآثره الشعرية الوطنية وصفاء صوته ومشاعره ، ودروب كفاحه المستمدة من جراح شعبه .

Digitized by Birzeit University Library

قصيدة للشاعر شكيب جهشان

والقى الشاعر شكيب جهشان قصيدة بعنوان " بضع كلمات على قبر ابي سلمى " سكب فيها مشاعره الفياضة بالحب والتقدير لابي سلمى .

كلمة الشاعر اسعد الاسعد .

وتحدث الشاعر اسعد الاسعد عن دور ادب ابي سلمى في الضفة الغربية ونوه بدور ابي سلمى الطليعي وروءيته الباصرة لدور الشعب بعماله وفلاحيه في القدرة على تحقيق النصر .

وخلص الى القول : ان التجربة التي خلفها لنا ابو سلمى تدفعنا نحن الكتاب والادباء في الارض المحتلة نحو تعميق صلتنا بجماهيرنا ومعايشة واقعها والتفاعل معها بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى .. واضعين نصب اعيننا مواصلة ما بداه معلمنا الراحل متتبعين خطاه . " انظر النص "

كلمة الشاعر سالم جبران

وتحدث الشاعر سالم جبران عن التجربة والعبرة التي يجب ان يأخذها المثقفون والكتاب الفلسطينيون . الحاليون من ابي سلمى ، فتحدث عن الظواهر الشعرية والادبية الفلسطينية والكفاح الثقافي الفلسطيني في بواكيره وكيف واجه المثقفون قضايا نضالية متعددة ضد الاستعمار والرجعية والزعامة المحلية .

قصيدة الشاعر عصام العباسي

والقى الشاعر عصام العباسي قصيدة حياشة تخليدا للمناسبة ، ظهر فيها مدى العلاقة الحميمة التي كانت تربط بينه وبين ابي سلمى في طريقهما النضالي المشترك .

كلمة الشاعر توفيق زيـاد

وتحدث الشاعر الكاتب توفيق زياد فابلغ الحضور قرار المجلس البلدى باطلاق اسم ابي سلمى على المكتبة البلدية العامة التي سيبدأ بناؤها قريبا .

ثم تحدث عن ابي سلمى الانسان المناضل الكبير ، وقال ان اروع قصيدة له هي تلك التي لم يكتبها ، بل هي تلك التي عاشها ، انها حياته التي تمثل حياة الشعب الفلسطيني في وطنه وفي تشرده وفي نضاله وفي استشهاده ثم تحدث عن شعره وخصائصه الاجتماعية الثورية والسياسية وروءيته المبكرة للصراع الطبقي . ان شعبا من المشردين لا يمكن الا ان يكون شعبا من الفدائيين ، ووجه تحياته الحارة الى قيادة الشعب الفلسطيني وسجناء الحرية الفلسطينيين

كلمة السيد زكي الكرمـــي

وتحدث السيد زكي الكرمي باسهاب عن شاعرنا الراحل في مراحل حياته وشعره ومواقفه .

▼ ▼ ▼ ▼

Digitized by Birzeit University Library

كلمة الدكتور إميل توما
في افتتاح المهرجان التذكاري
للأديب الراحل " أبو سلمى "

ايها الاخوة ،

نعقد هذا المهرجان في الذكرى الاولى لغياب شاعرنا الكبير عبد الكريم الكرمي ، وفي صدورنا تعتمل مشاعر متناقضة ومتعارضة في آن واحد . . فمن الناحية الواحدة نشعر بالراحة والاطمئنان والثقة لاننا نرى عدالة القضية الفلسطينية تكتسب الاصدقاء الجدد ، وتتجاوز الحفر الامبريالية وتفرض وجودها على الساحة الدولية وتحبط المؤامرات المتتالية عليها . .

ومن الناحية الثانية نشعر بالألم العميق لاستمرار نزيف الدم وسقوط الضحايا الغالية خلال كفاح الشعب العربي الفلسطيني البطولي . . في مختلف الجبهات . . ولا اقلها جبهة الفكر والادب وكان آخر شهدائها الكاتب الثورى ماجد ابو شرار .

لقد ادركنا منذ البداية ان غياب ابو سلمى الجسماني لا يعوض فتواجده في الميدان تحول الى عنصر هام من عناصر تثوير الثقافة الوطنية الفلسطينية . . وادركنا في الوقت نفسه ان تراثه الشعرى الضخم بمعانيه الفكرية ومدلولاته الكفاحية واشكاله الجمالية اصبح جزءا حيا من الهوية الفلسطينية ورسالة دينامية تلهم جيل الكتاب الناشئ وترشد المكافحين وتدفئ قلوب الوطنيين في مختلف الاقطار العربية .

اذكر ان احد النقاد كتب ما معناه " في بعض الاحيان كان الشعراء والقصصيين بسبب معاناتهم النامية في ظروفهم العينيه والناتجة عن مواقعهم الحياتية يعتقدون ان عليهم ان يقوموا مقام الكفاح او يسدوا الثغرات في المشاعر القومية الفلسطينية الناجمة عن الاحباط السياسي والعسكرى — ولذلك لم يكن الشكل عاملا بل المضمون الثورى " . . واضاف : ومثل هذا النتاج يمثل الملصقات على انواعها . .

Digitized by Birzeit University Library

والحقيقة ان ابا سلمى بنتاجه سد الثغرات في المشاعر القومية الفلسطينية واعرب عن دوافع الكفاح القومي وابقى الشعله الثورية مشتعلة في مواقعـــه ..

ونذكر اليوم ، في هذه الذكرى الاولى ، تلك الايام العصيبة حين اختفت القيادة القومية التقليدية عن الميدان .. وعانت الحركة القومية الفلسطينية من التمزق .. وانحسرت لتصبح جمرة باهتة تحت الرماد .. انذاك كان ابو سلمى بين القلائل الذين استمروا في النفخ في الرماد حتى تتوهج الجمرة .. وكان بين ابرز اولئك الادباء الذين بذلوا الجهد للمحافظة على جذوة الكفاح وسدوا الثغرات في المشاعر القومية الفلسطينية الناتجة عن الاحباط السياسي والثورى .

ان من مقومات عظمة شاعرنا الكبير ـ ابو سلمى ـ انه لم يتوقف عن النشيد الوطني ولم تخف حرارة شعره الرشيق .. لم يثبط العمر همته ولم تصبه النكسات في العالم العربي بخيبة الامل او تضعف ثقته بالمستقبل بل كلما تراكمت السنوات على كاهله ازداد شبابه اشراقا .

لقد دعى مبكرا في حياته السياسية الادبية عناصر معركة شعبه العربي الفلسطيني ومعها معركة الشعوب العربية في عالمها الرحب . ادرك دور الامبريالية بريطانية كانت أم امريكية .. وفهم دور العنصرية ، واستيقظ على دور الرجعية العربية وعراها من زينتها ..

ان ابا سلمى في شعره الغزير جمع بين التغني بفلسطين والحنين اليها وادانة شرور الامبريالية والعنصرية والرجعية العربية التي تعاونت مع عدوى الشعوب العربية وفي مقدمتها الشعب العربي الفلسطيني ..

وعلى الرغم من عبء خيانة الزعمات العربية الثقيل لم يتزعزع ايمانه بانتصار قضية شعبه فقد آمن بالشعب ايمانا شاملا .. فهو الذى يهدى السبيل .. وهو الذى يتجاوز العثاء .. وهو الذى يعقد الحق وحده .

يسأل بعض النقاد كيف تم التفاعل بين الادب العربي الذى نشاء في اعقاب قيام اسرائيل .. والتراث الادبي الفلسطيني الذى غاب في لحظة حرب فلسطين بمآسيها وما اعقبها من تشريد الشعب العربي الفلسطيني بعماله وفلاحيه ومثقفيه .. اى كيف استطاعت الاقلية العربية التي بقيت في اسرائيل ان تحافظ على هويتها الفلسطينية وهي تواجه الاضطهاد القومي الوحشي .. والعدمية القومية .. كيف استطاعت ان تثبت في تربتها ادباء بارزين ينشدون الشعر ويكتبون القصص ..؟

استطاعت بطريقين .

الاول : بنتاج تلك القلة التي بقيت في اسرائيل تلك القلة التي عاشت سنوات وعيها الاولى في مناخ نضالية الشعب العربي الفلسطيني قبل النكبة واتسم انتاجها بوعيها الذاتي وباليقظة على الظروف الناشئة وضرورة مواجهتها .

الثاني : بقيام القوى الديموقراطيه بنشر نماذج التراث الفلسطيني الافضل النتاج الادبي الثورى .. وبين هذا النتاج شعر شاعرنا الكبير عبد الكريم الكرمي .

اننا سنبقى مدينين لابي سلمى الذى استل ريشته من زيتونة فلسطين ومن اشجار برتقالها ومن دواليبها .. وعطر ما انشده من شعر بشذى ازهارها ورصع ابياته بمدنها ومروحها وشواطئها

اننا سنبقى نستلهم الزخم النضالي من هذه الاشعار .. ومن حياة صاحبها الذى امضى نصف قرن في ميدان المعركة ..

وسنهتف معه دائما وهو عاشق فلسطين الاول :

كلما حاربت من اجلك ... احببتك اكثـــــر
كلما دافعت عن ارضك ... عـــود العمر يخضـــر
وجناحي يا فلسطيـن ... على القمـــة ينشـــر

Digitized by Birzeit University Library

أبو سلمى
ضمير فلسطين

ابراهيم العلم

توافر لابي سلمى من مظاهر الوجدان الحي ما جعله رمزا خالدا من رموزنا الوطنيه فقد تدد بالقيادات الرجعية يوم تآمرت على الثوره الفلسطينيه في الثلاثينات من هذا القرن وثار على الاستعمار البريطاني عندما تواطأ مع الصهيونية ومهد الطريق امامها للاستيلاء على فلسطين واستنكر دعوات الاقليمية حين بدأ الهاجس القومي هو الذي يحفز النضال ضد عوامل التجزئة كالمصالح الطبقية والتبعية للامبريالية .

كان صوته الوطني قبل النكبة اصفى الاصوات لانه التحم بنضال الشعب وواكب معاركه ولا سيما ثورة سنه ١٩٣٦ فكتب فيها ملحمة شعرية لم يسلم منها سوى اجزاء .. وحين شردته الصهيونية عن وطنه حافظ على نقاء صوته فابى ان يمدح الا شهداء الامة ممن يرتبطون بهجوم وطنه الفلسطيني سواء أكانوا من ابنائه ام من العرب ، غير ان طابع الحدة بدا اعنف مما كان عليه قبل التشريد لانه وليد اخلاص لضميره الفلسطيني وشعور صادق ... فما كان يوما بالمجامل ولا المنافق فان وطنيته ذات حواش انسانية عميقة اذ كان يرى ان انتفاضات بلاده لا تنفصل عن ايما ثورة مهما نأت رقعتها الجغرافية .

ايها الثائرون في العالم الرحب
على الظالمين في الافاق
حطموا النير فهو من أثر الوحسن
على الارض واعصفوا بالوثاق
وامسحوا الظلم والجهالة
والفقر من الكون بالدم المهراق
اينما كنتم فنحن رفاق
وحدتنا حرية الاعتاق
والتقينا على جناح الاعاصير
وفوق اللظي وبيض الرقاق
في الميادين والمعامل اخوانا
وفوق الربى وفي الاعماق
جمعتنا مبادئ وعهود
فالتقينا من قبل يوم التلاقي

ويقول من قصيدة اخرى ميمية :

قم وناد الاحرار من كل قطر
وانشر الراية التي انت تعلم
غدنا عالم الشعوب وانا
في طريق التحرير جيش عرمرم
نحطم النير اينما كان في الكون
ولن نستريح ما لم يحطم

وحين وجد نفسه مبعدا عن وطنه في غمضة عين بعيدا عن مغاني صباه ومراح شبابه ، لم يصبه الذهول الذى اكتنف غيره من الشعراء ، فقد توقع النكبة قبل ان تحل وابصر مقدماتها ، فلم يلبث حتى هتف بالفلسطيني المشرد في حماسة تفيض بالثقة :

ايها الباكي وهل يجدى البكا
بعدما اصبحت في كل مهب
كفكف الدمع وسر في افق
حافل بالامل الضاحك رحب
يا اخي ما ضاع منا وطن
خالد نحمله في كل قلب
نحن ان لم نحترق كيف السنى
يملأ الدنيا ويهدى كل ركب
وقد صدق ما ارهقت به حين قال
وكأنه يسترف انبلاج ثورتنا
غدا سنعود والاجيال تمضي
الى وقع الخطا عند الاياب

Digitized by Birzeit University Library

تعود مع العواصف داميات
مع البرق المقدس والشهاب
مع الرايات دامية الحواشي
على وهج الاسنة والحراب

ونحن الثائرين بكل ارض ننصهر باللظى نير الرقاب . فما لبثت الثورة الفلسطينية حتى تألق وهجها عام ١٩٦٥ فما كانت استمرارا حتميا لثورات العشرينات والثلاثينات وها هو ابو سلمى يحدو موكبها مشيدا بالمناضلين :

دم اهلي مشاعل من نار
حملتها مواكب الثوار
فهي حينا تشب في جبل النار
وحينا تشب في الاغوار
وعلى ضوئها تلوح فلسطين
وتاريخ شعبها الجبار
يا فلسطين نحن باسمك في الساح
وقوفا نخوض كل غمار
كم ارادوا ان يطفئوا اسم فلسطين
ولن يخمدوا خفوق الدراري
كل حرف نضيء فيه شموس
كل شمس نضيء الف نهار
ان اهلي على اللهيب يسيرون
ويمحون باللظى كل عار
ويمرون فوق جسر المنايا
يهبون الحياة للاحرار

وفي شعره بعد النكبة حنين غامر وشوق دافق الى ارض الوطن وهو حنين المقاتل الذي نفر من اليأس والاحباط . اذ تطالعنا نغمات رقيقة وايقاعات عذبة دافئة تنم على الهيام . كقوله من قصيدة "احببتك اكثر" :

كلما حاربت من اجلك
احببتك اكثر
اي ترب غير هذا الترب
من مسك وعنبر
اي افق غير هذا الافق
في الدنيا معطر
كلما دافعت عن ارضك
عود العمر يخضر
وجناحي يا فلسطين
على القمة ينشر
يا فلسطينية الاسم الذي يوحي ويسحر
تشيد السمرة في عينيك ان الحسن اسمر
لم ازل اقرأ في عينيك انشودة عبقر
وعلى شطيهما امواج عكا تتكسر

فقد كان شعر ابي سلمى جسر العبور الى الثورة الفلسطينية بوجهيها السياسي والاجتماعي ولهذا كانت اشادته ظاهرة بالعمال والفلاحين لانهم كما قال "مادة الثورة ووقودها ، الثوار منهم والشهداء منهم وهم الذين يستحقون ان يكونوا مادة للشعر ولكل شيء " وقد جلا هذا الموقف بقوله :

ريشتي في يدي تسير امام الشعب
في زحفها على الطغيان
ريشتي في يدي تشق الدروب
البكر تحمي حرية الانسان

فلم يكن ابو سلمى اقليمي الشعور ضيقه فان البعد القومي في شعره ذو تدفق حار فكان لا ينفك يعبر عنه في كل مناسبة . فحين سئل عن اهمية الاتجاه القومي في ثورة عز الدين القسام ، قال " لقد أتى ابناء العرب من كل مكان مثل الشيخ محمد الاشقر وسعيد العاص وفوزي القاوقجي، واحمد صعب وابو محي الدين شعبان . نعم لقد اتحد الدم العربي والصوت العربي ، اتحد الانسان العربي للدفاع عن فلسطين . نحن وحدة واحدة لا تقبل الانقسام فماذا بعد ان يتحد الدم والصوت ماذا بعد وحدة الانسان العربي في الشهادة " فدعا الى وحدة عربية تقوم فيها فلسطين مقام القلب النابض من الجسد الحي :

يا حبذا لقيا على وهج
في وحدة عربية السند
في قلبها وطني يشع سنى
يهدي الشعوب الى حياة غد

وقبل ذلك انشد :-

عروبتنا توحدنا بآمال والام
فما الاردن الا مصر وما مصر سوى الشام

اما شعراء الجزء الاسير من فلسطين فهم عرس يانع يستثير اعتزازه ومحبته لانهم بمنزلة الفروع

Digitized by Birzeit University Library

الواعدة من الشجرة التي اجتث جذعها فلم تمت وان حسبوا انها لن تعود الى الحياة فقد خاب ظن جون فوستر دالس حين ذكر ان "قضية فلسطين حلها بسيط ، من عاش في فلسطين وولد فيها يموت والذين ولدوا خارج فلسطين يكونون قد نسوا بلادهم فلا يحاربون من اجلها وهكذا تحل القضية الفلسطينية " فقد توجه اليهم بتحية تعبق بالحب والشوق والزهو :

شعراء الجليل والشاطيء الغربي

(م) انتم طلائع الفرسان

شعركم مثلكم خلودا ويسرى

من فلسطين فيه نفح الجنان

من شفا عمرو الجريحة والبروة

(م) من كوكب الهوا ومن بيسان

زنتم الليل بالحروف نجوما

يا احياى في أحب مكان

تتحدون بالقوافي المدماة

(م) نضالا عصابة الشيطان

طلع الشعر فوق ارضكم الخضراء

(م) غرسا مخضب الاغصان

كل شعر سواه تلوى به الريح

(م) وبطوبه عالم النسيان

شعركم وحدة يعمق في الارض

(م) جذور الصمود والعنفوان

شعركم وحده المجلجل في الساح

(م) رفيق السلاح في المعمعان

فان فلسطين لم تبهتيوما في وجدانه بالرغم من الاعوام الثلاثين التي انقضت على بعده عنها الامر الذى يؤكد صدق مشاعره الوطنية الى جانب هذه الاصالة التي تفيض بها ـ فلقد تابع ثورة الارض المحتلة معجبا بها مستطار القلب اذ قال :

ايها الاهل في القطاع وفي الضفة

(م) لو تنطق الدموع لساني

يعصب الجمر جانبه وهل ابلغ

(م) مما لم تروه الشفتان

تلك اكبادنا المعزقة الجرى

(م) على كل شفرة وسنان

ايها الثائرون في جبل النار

(م) وقيتم غوائل الحدثان

دمكم وحده يروى البطولات

(م) وتغلون تربة الاوطان

عندما تخطرون نزدهر الارض

(م) وتهدى غلائل الريحان

نحن اسرى وانتم الاحرار

(م) خلف السجون والقضبان

ومن الاهمية بمكان ان نشير الى هذه المشاعر التي اكتفى عندها ابو سلمى ومحمد مهدى الجواهرى شاعر العراق الكبير لان كليهما التزم الواقعية الاشتراكية في شعره وكانت الثورة طابع ادبه ، اذ عندما اعلن بعض الزعماء التقليديين قبل النكبة ان مصلحة الشعب الفلسطيني متفقة ومصلحة (الصديقة) بريطانيا لان فلسطين تقع على طريق الهند ، والهند درة التاج البريطاني وقفابو سلمى مع رهط من الشباب المثقف يؤكدون انه "لا يمكن ان تكون طريقا لاستعباد الشعوب الاخرى وان الهند درة هندية وليست درة بريطانية ومصلحتنا لا تتفق ومصلحة الدولة المستعمرة بل مع مصلحة الشعوب" وبفضل اتجاههما الواقعي تجاوزا ثنائية الاحساس والفكر منذ البواكير الاولى لشعرهما .

فضلا عن الشاعرين حافظا على عمود الشعر العربي في اعتماد العروض التقليدى وفي وضوح المعاني واشراق الاسلوب وابتعاده عن الابتذال . وقد وسع هذا اللون من الشعر التعبير عن همومهما الوطنية والاجتماعية والانسانية واقتربا به من وجدان الجماهير حين غمسا ريشتهما في جراحها واطلقا الشعر صاعقة غضب وراية أمل .. فإن كليهما عايش الاحداث السياسية طويلا بعد ان امتد به العمر ، وكان له صوت متميز في تناولها ففي شعرهما الوطني حدة ومرارة تشيعان في الالفاظ وفي الصياغة . فلم يطمس الشعر التقليدى اصالتهما .. وقد عكست عنايتهما بالجزالة موقف الريادة التي تمتعا بها حين رغبا في تجاوز مرحلة الضعف والركاكة التي رانت على الشعر في العراق وفلسطين في اواخر القرن التاسع عشر واوائل العشرين .

ولا شك ان امتزاجهما بحياة الشعب اعان على صقل شعرهما وبلغ به المنزلة العالية التي ينعم بها ..

Digitized by Birzeit University Library

في ذكرى أبي سلمى

بقلم أسعد الأسعد

اننا ونحن نحيي الذكرى الاولى لرحيل ابي سلمى ، انما نعاهد شاعرنا العظيم ان نواصل ما بدأه . ووضع مداميكه الاولى ، اتجاه خلق تيار واقعي تقدمي لادبنا الفلسطيني ، ولحركتنا الثقافية الفلسطينية .

استطاع ابو سلمى ، ان يعي منذ البداية موضوعة الصراع الطبقي في حركة ومسيرة النضال الوطني الفلسطيني ، فانعتاق ابي سلمى من سجن التقاليد والعادات التي طوقته في شبابه ، كانت بداية مسيرته نحو تحديد شخصيته وفكره ، تماما كخروجه عن طبقته الاقطاعية وبقاياها في ظولكرم ، ووعيه لموضوعة الحسم بين اغنياء فلسطين وهم السلطة المحلية المتحكمة فع رقاب الفلاحين الفلسطينيين في عهد الانتداب والمتعاونة مع البريطانيين ، وبين فقراء الشعب وعماله ، شقان للمعادلة استطاع ان يدرك ابعادها ولذلك كان عليه ان يحدد التزامه ، مع جماهير الشعب ام ضده ، وتوصل الى الحسم الذى ذكرته فانحاز بوضوح تام ، بل وباصرار لا شك فيه مطلقا انحاز الى الشعب ، ولذا جاز لنا أن نسميه شاعر الشعب الملتزم التزاما كليا وعلميا بقضاياه وهمومه اليومية واعتبر أن الحل لا بد ان يأتي من خلال الجماهير وعليها ان تقرر مصيرها بنفسها .. يقول مخاطبا الشعب :

انت الذى تهدى السبيل من اليمين الى اليسار
قرر مصيرك انت لا من يبصمون على القرار

ليس هذا فحسب ، بل ان شاعرنا عبد الكريم الكرمي ، رأى مصيبة شعبه في قيادته القومية التقليدية ، والمؤلفة من اسياد الارض والفئات التابعة لها من المرتزقة والمنتفعين ، وكذلك في حكام العرب ، نواطير الامبريالية ، وخدمتها ، ومن هنا جاءت قصيدته النارية الخالدة .

اثر على لهب القصيد
شكوى العبيد الى العبيد

لذلك فقد طورد وحكم عليه بالاعدام من قبل هذه الانظمة . ورغم كل ذلك ظل ايمانه بشعبه يزداد يوما اثر يوم ، يزداد نضاله ويستعر ضد اعداء شعبه ووطنه . وكلما ازداد نضاله ازداد حبه لوطنه ، يقول :

كلما حاربت من اجللك
أحببتك اكثر

لم يكن ابو سلمى ، اديبا وشاعرا فحسب ، بل كان قائدا سياسيا ملتزما ظل يقترب من جماهيره ، حتى لامس واقعها وعايشه فصار علما من اعلام حركتنا القومية والوطنية وشاعرا جماهيريا يجسد بقصائده طموحات الجماهير ومعاناتها ، ومن هنا يأتي سر الخلود لشاعرنا ، جماهيريته ، وحرص على معاينة قضايا شعبه ونلمس معاناته الحقيقية وتجسيد هذه المعاناة في قصائد تمور بالحياة والحيوية والثورة ، كل هذا وغيره جعل من ابي سلمى معلما وشاعرا عظيما .

نحن في الاراضي الفلسطينية المحتلة ، كتابا وادباء ومثقفين ، نحس اليوم ، معنى الالتزام في الادب ، ولمن . للجماهير والجماهير فقط ، نحن نحس بأهمية الصلة الدائمة الحقيقية بالجماهير ومعايشة واقعها ، والتفاعل منها ، الى درجة الفعل والتفاعل المسيس والمنظم . واضعين نصب اعيننا مواصلة ما بدأه معلمنا الراحل ، متتبعين خطاه ، ونحن على يقين من اننا ان ابتعدنا عن جماهيرنا ، فاننا نتساقط نحن وما نكتب ، كأوراق الخريف ، ولن يكون لفعلنا اى رد فعل .

ان التراث الذى خلفه لنا ابو سلمى ، عزيز علينا ، وهو ملك لشعبه الذى عاش حياته من اجله ، ومن اجل قضاياه الاساسية والعامة . اننا نحيي ذكرى رجل امضى حياته من اجل قضية استطاع ان يعي ابعادها السياسية والفكرية والاجتماعية . فالتزم بها . وكرس حياته من اجل الدفاع عنها ، بحس طبقي عال ، وفكر واضح لا تشوبه شائبة ، كأديب وكاتب واقعي اشتراكي .

فلأبي سلمى محبتنا وتقديرنا واننا على الدرب سائرون ، ايماننا بشعبك الذى كرست حياتك من أجله يعمق فينا الاحساس بحتمية الوصول .

ولتعش الذكرى خالدة الى الابد .

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

بقع الدم

فايز منصور

صرخت الشمس باكرا . ارتعش الظلام الرعشة الاخيرة واسلم روحه . استيقظت المدينة وقذفت البيوت الصغيرة ما بداخلها من بشر .

" لا اله الا الله وان محمـــد ...و...أ.....

ـ يا الهي ، دم غرز عينيه في البقعة الكبيرة القريبة من حذائه المهترئ انحنى ليتأكد اكثر ضيق فتحتي عينيه الذاوبتين وتمتم :

ـ يا ترى ، هذا دم انسان ؟ تراجع خطوه وسحب كميه من الهواء البارد واطلقها بحنق

ـ تفو عليك من وقت .. القتل مثل قول السلام عليكم . رفع رأسه وتطلع الى السماء التي اسفرت عن وجهها الازرق ، بدت له للوهله الاولى وكانها تشيح وجهها عنه .

ـ استغفر الله رددها ثلاث مرات ، تذكر عائلته في البيت ومسؤوليته في توفير لقمة العيش " لقمة الخبز ، لقمة الخبز ، الله يلعنها من حياة . طول عمرنا نجري وراها ..... القى نظرة اخرى على البقع القرمزية المنتشرة على الاسفلت وتنهد من الاعماق "اليوم شغل جامد لو تأخرت يطردني المعلم ، يطرد ، يطرد هو سخن لي مكان والله طز يا المعلم ..." تسمر في مكانه . طافت عيناه الوجوه الواجمة الحيرى ، آلمه ذلك

" اخ لو اعرف اقرأ واكتب كنت افهم ما يحدث في الدنيا ..." اقتربت سيارة تنوهج . وقفت فجأة اطل رجل من الشباك الايمن "تبدو عليه النعمة تسللت عيناه المدفونتين باللحم واستقرتا على بقع الدم الداكنة المبعثرة .

نفل ثم وضع اصبعيه على انفه وادار وجهه بعصبيه وزمجر بالسائق .

ـ هذه بلدية المسلخ انتقل لمركز المدينه ، اين تذهب الضرائب ، اسرع يا زلمه . الرائحه صدعت رأسي ، هذا قرف ، قرف ....ـ صاحت السياره صيحات متتاليه وانطلقت مسرعة تدافع الناس مذعورين والحقود جملا من الشتائم علق رجل كادت السياره ان تدوسه

ـ يا اخي الناس ما ظل في قلوبهم رحمة ، هذا جنون ، خايف الدنيا تهرب الله يلعن الماده ويلعن يومها نعمي الناس . هذا انسان كان المفروض يسأل ...

اجابه المحدث اليه :

ـ اسمع انت منحرف هؤلاء من عجينة اخرى ، ليسوا معنيين بنا ، هؤلاء خو...، يا رب لا تأخذني ، مالنا والناس .

تواقد الناس بكثره ، غص المكان بهم ، تطاولت الاعناق وتدلت الرؤوس من النوافذ المشرفه على المكان ، تعطل السير وامتد حبل من السيارات . كثرت الاسئلة وتنوعت الاجابات

Digitized by Birzeit University Library

ـ ايش في هناك ؟
ـ ما بعرف بالضبط ، يمكن واحد ميت .
ـ معقول ؟ ما حد اخده ؟ مين قتله ...جا ...
انطلق كسهم يشق الجموع وابتلعه الزحام . اقبل رجل مهندم يحمل حقيبة برسيدنت " في يده اليمنى ونظر من طرف عينه .
ـ لماذا التجمع ، انكم تعطلون السير ، ماذا حدث مشى خطوتين وتوقف . همس شخص يعرفه لجاره ـ محامي ولا يعرف ما حدث كأنه غير معني بالامر ، والله تكبر :
سأل رجل يعرفه ايضا
ـ يا حضرة المحامي ، جريمة ، دم ، ما سمعت شيء ؟
اجاب المحامي وقد خطا خطوة اخرى .
ـ من قال لك ذلك ؟ يمكن دجاجه دعست او كلب .
سكت برهة واكمل .
ـ ما دخلك انت في القتل ، هذا من شأن السلطه ...(ما أكثر اسألتهم ، ناس طفيليون ، بقر) نوارى خلف احدى العمارات والعيون ما زالت تلاحقه والتعجب يتدفق منها ، ارتدت للخلف بانكسار ، علق رجل يرتجف بغير مبرر
ـ صحيح كلامه ، ما دخلنا ، اللهم نفسك ...
قاطعه رجل آخر بحده
ـ هذه المرة الاولى ؟كل يوم دم ، كل يوم واحد ولا من شاف ولا من درى
وقفت امرأة فلاحة قريبا من الجمع وسألت .
ـ يا خيبتي شوفي هان ؟
ـ بيقولوا في دم .
ضربت صدرها ـ يا حسرتي ....دم .....
ابني حبيبي .. وين الدم ؟ نزل مني السد
ـ يا حرمه ، الدم عتيق ، جاف ، ، ممكن من الليل .
اقتعت نفسها بسخف تصورها واتجهت صوب السوق لتحتل لها مكانا متقدما
خرج رجل من دكانه حاملا سطل ماء ومكنسة خشنة قدم كنفه وحاول اختراق الجدار الادمي الذى يحيط ببقع الدم .
ـ يا جماعة كل واحد يذهب لعمله ، ابعدوا من باب المحل ، لا تسببوا لنا مشاكل يا فلاحين ، يا همج .
اشمأز رجل وهزه من كتفه مرات ـ لا تزعق ، رجع الماء ، لازم نعرف سر الدم .
اجاب اغلب الحاضرين .
ـ لازم نعرف ، لا نغادر المكان قبل ان يتجلي امر الدم .
مد شيخ لحيته وتنحنح ثم عدل طربوشه وامسك طرفي جلبابه من اعلى وافتى
ـ لا مفر من الموت ، اطلبوا الرحمة لروح الميت انا للـــه وانا اليه راجعون
رمقه رجل بنظرة حقد ـ شو بعرفك يا سيدى الشيخ .
ـ الامر يدل على المسير . اطرق برهة وقال . اذكروا الله خير لكم ."كل من عليها فان" اعترض اخر وشبعنا مواعظ ونصائح ، تكلم آخر ـ خبروا المخفر انه على بعد خطوات
ـ اسمع صاحبنا ، اذا خصمك القاضي لمن تشكي خليها على الله .
ـ يا عمي الناس في واد والاحداث في واد .
ـ حتى نصحى خايف نفوق بعد فوات الاوان ..
انتشر جنود في المكان واعتلا بعضهم اسطح المنازل المشرفه ، فرقوا الناس بالقوة ، اقبلت اطفائيه . صوبت خراطيمها وتقيأت قسما كبيرا مما في احشائها فغمرت بقع الدم .
علا صياح بائع الجرائد الصغير
ـ سجين يهرب ، السجين اصيب بجروح ولكن الشرطه لم تتمكن من القاء القبض عليه . اقرأوا اخر الاخبار القدس الشعب ، الفجر. تلقفت الايدى الجرائد بسرعه واخذت العيون تلتهم تفاصيل الحادث وقصة البقع القرميه التي اختفت للتو .
ـ اضافه ـ
في الساعه الحاديه عشره والنصف اذاع الراديوعن وقوع اشتباك بين دوريه وهارب من السجن وقد جرح اثناء الاشتباك جندى ولقي الهارب حتفه ."
ـ اشاره ـ
في اليوم الثاني قرأ الناس قريبا من مكان بقع الدم بالخط الاحمـــر العريـــض (لـــن يذهب دمـــه هدرا) .

Digitized by Birzeit University Library

مثقفونا وظاهرة تعدد الشخصيات

يوسف أبو سمرة

في البدء كانت النظرية ، لكن النظرية شيء والممارسة شيء آخر . وحتى نمتلك القدرة على الممارسة لا بد من توفر القدرات لاستيعاب النظرية .

ان الحماس للدفاع عن نظرية ما ، لمجرد سماعنا بها او لانها أعجبتنا من " اول نظرة " والتمادي في تكرار هذه النظرية بمناسبة وبدون مناسبة دون العمل بها ، يكاد يكون مرضا عالميا لا يقتصر على قارة دون أخرى أو على شعب دون آخر انه مرض " تسويق الافكار والنظريات ".

ان اعراض هذا المرض المستوطنه في عالمنا الثالث بشكل عام وعالمنا العربي بشكل خاص والتي لا يشكو منها الا المثقفون تعتبر امتدادا لمرض المثقفين على المستوى العالمي ولكن بصورة اخرى لا تختلف كثيرا عن الصورة الام .

ان معاناة القسم الاكبر من مثقفينا تتمثل في هذا الموقف الصراع بين النظرية والتطبيق فمن جملة ما نلاحظه على سلوك مثقف فلسطيني تقدمي هو رغبته المخلصة في العمل وفي ممارسة افكاره ونظرياته لكننا نلاحظ ايضا عدم الاستمرارية في ممارسة هذا النوع من السلوك او تطبيقه لاعتقاداته في كافة مجالات حياته الخاصه والعامة ، ترى من المسؤول هنا الفرد المثقف ام المجتمع ؟

المثقف الفلسطيني يؤمن على سبيل المثال لا الحصر : بالعمل التعاوني ، بتحرر المرأة بأساليب التربية العلمانية ، بأسلوب التعامل الديموقراطي ، وبكل ما هو ايجابي وعلمي وبناء سواء جاء من السلف او من الخلف . لكن معايشته لهذا الموقف ــ الصراع ، بين النظرية والتطبيق من جهة وبين كيفية وماهية التطبيق من جهة اخرى دفعت به لان يتقمص عدة ادوار او عدة شخصيات يتناسب كل منها مع المرحلة الفكرية التي يعيشها .

وحتى نكون في الصورة سنأخذ ثلاثة امثلة ونقيضها بايجاز . تبدو من خلالها حالات تعدد الشخصيات لدى الفرد المثقف في مجتمعنا :

الحالة الاولى : المشاركة في الاعمال التطوعية والتعاونية على المستوى المحلي ونقيضها عدم الرؤيا الواضحة لمثل هذه النشاطات على المستوى الخاص .

الحالة الثانية : الموقف الايجابي على المستويين النظرى والتطبيقي من مسالة تحرر المرأة ونقيضه الموقف السلبي تجاه المرأه ضمن حدود العائلة .

الحالة الثالثه: الفرد المثقف الحاصل على دراساته العليا من الخارج وحالة الصراع التي يعيشها بين الالتزام والتطبيق لما درسه وتعلمه

Digitized by Birzeit University Library

ورغبته في التغيير وبين قيود الحمولة والمجتمع وما يتطلبه ذلك من ان يتنكر لكل ما عنده من ايجابيات ويدفن ما عاشه من خبرات لكي يرضي كبار العشيرة ومختاير القرية ورجال الحي والحصول على رضى السلطة ورضى الوالدين حتى لو كانوا على خطأ .

في الحاله الاولى : يحاول مثقفنا ان يمارس كل ما يعتقده حول العمل التعاوني والتطوعي فتراه نشيطا ينتقل من هذا المخيم الى ذاك ومن هذه المدينةالى تلك من اجل مساعدة الذين بقوا لاجئين حتى في ديارهم . ان المعالم التي تغبرت بفضل برامج العمل التطوعي في عالمنا الصغير في الضفة الغربية وقطاع غزة تكاد لا تحصى ، فكم من مدرسة وكم من حارة وكم من مخيم وشارع وحقل استفادت من ممارسات شبابنا المثقف لنظريات العمل التطوعي والتعاوني . رغم الممارسات المضادة والمتمثلة بنظريات الهدم والاستهلاك ان كل طرف يمارس ما يعتقد

لكن السلوك المتناقض والمتمثل في عدم الاستمرارية في هذا النمط من السلوك التعاوني هو ما أسميناه " بتعدد الشخصيات " . ذلك ان "مثقفنا التعاوني " لا يعمل في ارضه او في صيانة بيته وهما في امس الحاجة " لعمله الخاص" من صيانه وحراثه وزراعه وسماد وتنظيف ورعاية لانقاذ الارض من مرض الاستيطان والبيت من مرض الاحتلال فكم من شاب اشترك في العمل التعاوني وحديقة بيته قد طغى عليها الشوك والاعشاب الضارة حتى ما عادت صالحة لنمو الازهار الطبيعيه . وما عاد فيها فراغ حتى لزراعة حوض بقدونس او نعنع .

اما عن الحالة الثانية وهي موضوع تحرر المرأة ومساواتها بالرجل فحدث ولا حرج . فصديقنا الجامعي المثقف لا يقنأ في ردهات الجامعة ومقصفها من ترديد الافكار الماركسية ـ اللينينية حول ضرورة تحرر المرأة من ظلم المجتمع ومن ظلم السلطة والرجل لها واستغلالهما لطبيعتها وضرورة تعليم المرأة ومساواتها الكاملة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا بالرجل وضرورة تقسيم العمل في البيت بين الولد والبنت وبين الزوجين مستقبلا .. الخ من الضرورات .

هذا ومع أخذ مثقفنا لبعض المواقف الايجابية من موضوع تحرر المرأة " قناعة او اضطرارا " على المستوى الجامعي او مستوى العمل والوظيفة الا انه وفي اغلب الحالات لايتخذ الا المواقف السلبية تجاه تعامله مع المرأة عندما تكون هذه الاخيره زوجته او اخته او ابنته او صديقته . فالعمل من حق كل النساء الا زوجته ، والتعليم العالي من حق كل البنات الا ابنته ، والمساواة بين الجنسين والمعاملة الديموقراطيه بين كل الاخوة والاخوات حق مقدس الا في عائلته او عشيرته فهذا شيء من الصعب تحقيق قدسيته .

ان مثقفنا ما زال يتمتع بامتيازات عصر الرجولة قراءة الجريدة ، زيارة المقهى ، التدخين وعدم دخول المطبخ الا من اجل الاكل فقط فلماذا يتنازل وبسهولة عن كل هذه الانتصارات ؟؟؟

اما الحالة الثالثة : والتي تكاد تكون خفية مقارنه بنسبة انتشار الحالتين السابقتين حيث يبدو فيها " تعدد الشخصيات " قصرا على مثقفينا من الرجال والذين أتموا دراساتهم في الخارج (اوروبا وامريكا خاصة)

تعاني هذه الفئه القليله من الشباب المثقف من صعوبات في التكيف على المستوى النفسي ـ الاجتماعي هذه المعاناة لا تبدأ من تاريخ العودة للوطن من اجل الاستقرار بل هي ولدت مع فكرة السفر للخارج . لكن الشعور بالمعاناة يبدأ حينذاك بفهم طبيعة التغيرات الاجتماعيه والسلوك الانساني في هذه التجمعات البشريه فتراه يتأرجح تارة بين القبول بكل ما في هذا المجتمع من ظواهر احيانا وبين رفضها كليا او جزئيا في احيانا اخرى . وبعد ان يتعبه التفكير واتخاذ القرار تجده دون ان يدري قد حزم امتعته وعاد للوطن الام بدرجة لا بأس بها من العلم وأحيانا الثقافة

هنا لا يبدأ المثقف يعيش مرحلة جديدة من الصراع بل تعتبر امتدادا لسابقتها ، فهو ما زال يواجه مشاكل وصعوبات في تكيفه النفسي ـ الاجتماعي . وهو يعي ويحس بأن المشاكل في

Digitized by Birzeit University Library

مجتمعه الام هنا اكثر تعقيدا من نظيراتها هناك وانه هنا لا بد وان يواجهها فهي تظل مرآة سيا وبالحاح كل يوم . وهو يعي انه كمثقف له دور في قضايا التنمية والتطور التي يمر بها مجتمعه اما هناك فعلى العكس كان بامكانه التهرب من المشاكل والقضايا المطروحة او نسيانها او تأجيلها او حتى الغائها في حالة احتدام الصراع النفسي في داخله حيث تفرض ضرورة اثبات وجود الذات اهميتها فوق وقبل كل شيء وقد يعزى مثقفنا نفسه قائلا : يكفي انني في اوروبا فهذا بحد ذاته حل لكل مشاكلي وهذا هو الهروب بعينه عن طريق الغاء وجود المشكله .

لكن وجود الفرد المثقف على الساحة وبدء ولوجه لميادين الوطن المختلفة يضعه امام الامتحان العسير وسوءالنا في البدايه ، اين انا من النظرية والتطبيق ؟ يوحي له بالمزيد منها بينه وبين نفسه . هل استطيع ممارسة كل ما درسته وعايشته في الغرب في مجتمعي ؟ هل باستطاعتي تكييف خبراتي ومشاهدتي هناك مع من اعايش واخالط هنا ؟

ترى كيف يواجه المثقف الفلسطيني العائد من بلاد الغرب مشاكل وقضايا شعبه النامي كي لا تقول المتخلف . ترى هل يشد الرحال للانتقال للحي السكني الارقى في مدينته حاملا معه من الحي الشعبي بعض صواني القش وبعض غرامات من الرعتر والميرميه وشبابة بدون صوت .

ام تراه يبحث عن فتاة في الاعدادية او الثانويةليتزوجها بناء على نصيحة والدته او جده قد يكون مثقفنا مهندسا دكتورا او طبيبا متخصصا لكنه ما زال يعتقد ويؤمن بنفس المقوله التي كانت سائدة في بلادنا منذ عشرين عاما والقائلة بأن العلم للبنت مفسده ما بعدها مفسده .

ام تراه ينجح في توصيل بعض ما أدرجه في اطروحته للدراسة العليا الى داته والى عائلته على المستوى الشخصي وذلك اضعف الايمان واولى الخطوات على طريق تغيير وتطوير هذا المجتمع الذي فعلا لن يرحمنا وسيبقى قاسيا على أجيالنا من المثقفين اذا تركه المثقفون على ما هو عليه .

ان نصيب العامة من الناس في تحمل المسؤولية لما اصاب مجتمعهم من حالات الركود واصناف الهزائم (نكبة ، نكسة ، مصيبة) ان هو الا بالقليل مقارنة بالدور المنوط بالنخبة المثقفة في اى مجتمع .

Digitized by Birzeit University Library

حوار مع الشاعر المصري

سمير عبد الباقي

أجرى الحوار : أسعد الأسعد

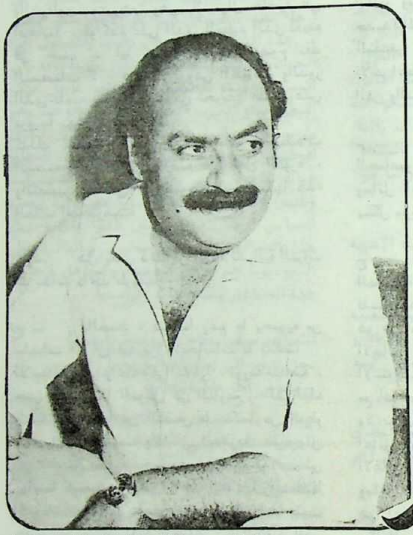

سمير عبد الباقي ، أحد الاقلام التي ظهرت في الستينات ، فتره المد الثورى في مصر ، وهو شاهد على عهد الردة ايضا بعد رحيل عبد الناصر ، شاهد لم يُخفِ رأيه ، بل صرح به من خلال اغنياته وقصائده وكتاباته للاطفال ، باختصار ، شاعر شعبي ملتزم ، دفع ولا يزال ضريبه التزامه ومواقفه المبدئيه .

س – برزت الاغنيه السياسية بشكل واضح بعد السبعينات هل للاحداث السياسية التي تمر بها المنطقة العربية اثر في ذلك .

ج – الواقع تعبير الاغنية السياسية ليس دقيقا تماما ، فكل اغنية تحمل في طياتها بعدا سياسا حتى تلك التي تتحدث عن الحب والعواطف الملتهبة التي تتحفنا بها اجهزة الاعلام العربية في كل لحظة من خلال وسائل اعلاميا السمعية والمرئية ، حتى تخدم سياسة هذه الانظمة الرجعية والفئات المرتزقة والمستفيدة من وجود هذه الانظمة وسياساتهـــا .

وانا اميل الى تسميتها بالاغنية الناقدة المحرضة ، المحرضه لجماهير الشعب العامل بكافه فئاته وطبقاته ، هذه الجماهير هي صاحبة

Digitized by Birzeit University Library

المصلحة الحقيقيه في الثورة والتغيير .

هذه الاغنيه بدأت منذ القديم فهي حاضرة في اعماق تراثنا الشعبي ، وحتى في حضارتنا على اختلاف عصورها ، بدءا بأغاني سيد درويش وانتهاءا بأغاني الشيخ امام ونجم وعدلي ومارسيل وغيرهم ، فنحن نقرأ حتى الان اشعار فؤاد حداد والشرقاوي وغيرهم وهي لا تزال حاضرة في اذهاننا ، مؤكدة على الدور العظيم الذي لعبته في حينه ، اما لماذا ظهرت بوضوح بعد السبعينات ؟ ، فربما لان وعي الجماهير والدور الذي تلعبه هذه الاغنية في تحريكها ساعد على بروزها بهذا الوضوح ،

كذلك التصاق هذه الاغنية بهموم الطبقات الشعبيه الكادحة والمناضلة من اجل الثورة ، والتعبير الصادق عن طموحاتها جعل لها هذه المكانة المحترمة .

س — هل يعني ذلك ان عوده لدراسة التراث قد بدأت تأخذ طريقها .

ج — بالضبط ، فتراثنا رغم ما يحتويه من سلبيات الا ان فيه من الايجابيات ما يدفعنا للاستفادة منه واعادة قراءته قراءه ثورية تقدمية ، حتى في تراثنا الموغل في التاريخ ، الف ليلة وليلة مثلا فيها من القصص ما يمكننا من النظر اليه والاستفاده منه وادخال العصرية عليه ومن ثم تقديمه بصورة محرضة وبصورة ثوريه ، حتى اغانينا الشعبية ، نحن نأخذ الحانها ومقدماتها احيانا ، ونبني عليها ،فتخرج التراث بثوب جديد ، مشبع فيه الحياة ، وبالصورة التي نسعى اليها . وهذا يتطلب منا ان نعي دور الادب والفن قبل ان نبدأ بعمل اى شيء .

س — هذا المنعى الجديد ، هل انعكس في كافة بلدان العالم العربي ، ام انه اقتصر على مصر ولبنان .

ج — أبدأ انا ارى ان ذلك عم الوطن العربي ، فعلى سبيل المثال ، عندنا في مصر احمد فؤاد نجم ومعه الشيخ امام ، كذلك سمير عبد الباقي وعدلي ، وغيرهم هناك في لبنان مارسيل خليفه ، هناك في المغرب الناس الغوان وهي فرقة قدمت من الاغاني التراثية المحدثة والمسيسه مما جعلها مصاف الفرق الغنائية المسيسة . عندكم كانت هناك تجربة رائعة لو انها استمرت وهي تجربة "بلا لين" واظن انها قدمت الشيء الكثير وبدأت بداية سليمة ، ربما فتحت افاقا جديدة للاهتمام بهذا الفن كذلك الفنان العراقي التقدمي جعفر حسن والمقيم حاليا في عدن ، هو الاخر اعطى الكثير وأسهم في ابراز هذا اللون من الفن والتراث .

س — هذا الفن هو فن ملتزم ، فن منحاز الى الجماهير ، والمعروف ان الجماهير لا تملك رسائل اعلام ومع ذلك تنتشر هذه الاغنيات بشكل سريع جدا . فما سر هذا

ج — لكل نظام فن وأدب يخدمه توجهاته المختلفة ، وهي توضع في الاساس لخدمة وتكريس فلسفه هذا النظام او ذاك ، هذاالادب او الفن ، هو فن مرتزق ولا يعمر طويلا ، لانه بعيد عن الاصالة ، ايام عبد الناصر كنا نسمع ، "بستان الاشتراكيه" على سبيل المثال ، فأين ذهبت ، مع انه لم يمضى عليها سنوات طويله ، لكنا نسمع ولا نزال نردد بلادى بلادى ، ولا نزال نردد اغاني امام وعدلي ومارسيل وغيرهم ، مع ان الاغاني هذه لا تسمع في الاذاعات العربيه او وسائل اعلامها الرسميه ، ولذلك لها هذا الزخم هي اغان شعبيه لا تملك البروتوكولات الرسميه ، وبالتالي كان لا بد من طريقه شعبيه لتصل الى الجماهير ، في البدايه كانت تقال في جلسات مغلقة ، ثم اتسعت لتصبح فرقا "فرقة الدراما والتي قدمت في حب مصر مثلا " ثم اخذت الدائرة تتسع ، طلبة الجامعات ، حفلات شعبيه في الاعراس ، والمناسبات الوطنيه .

س — ما هو دور التنظيمات السياسيه في مصر على مسار الاغنية الشعبيه .

ج — في الحقيقه ، لعب حزب التجمع

Digitized by Birzeit University Library

الوحدوى التقدمي دورا بارزا في نشر الاغنية الشعبية ، ذلك لان للحزب منبر شرعي ، هذا المنبر اعطى فرصته لهذه الاغنية بالانتشار في دائرة اوسع اعني بين العمال والفلاحين . فمثلا في انتخابات عام ٧٦ . لعبت الاغنية الشعبية المسيسة والتي قادها عدلي وامام من خلال اكثر من مئتي حفلة في الريف دورا عظيما في دفع جماهير العمال والفلاحين في الريف باتجاه حزب التجمع والتصويت له ، اذكر من ضمن هذه الحفلات كانت حفلة في قرية " النزل" وكان فيها عدد من الشعراء ، اضطرت السلطة الى القبول باقامه مهرجان سياسي سمحوا فيه بالقاء الخطب والكلمات ، وعندما بدأنا بالقاء القصائد والاغاني عطلوا "رجال السلطة" الكهرباء ومنعونا باصرار من تقديم فقراتنا سواء الشعر او الغناء .

س — وهذا يؤكد الدور الذى تلعبه الاغنية الشعبيه والشعراء الشعبيون

ج — طبعا ، فالشعر الشعبي والاغنية الشعبيه لعبتا دورا هاما ولا تزال في عملية فهم الجماهير وتقرير وعيها للقضايا الاساسية التي تهم الجماهير

س — المعروف ان سلطات النظام المصرى تلاحقكم جميعا ، شعراء ومغنو الشعب فما هي اخر اخبار هذه الملاحقات ،

ج — الشاعر نجم موجود الان في السجن ، وهو مضرب عن الطعام منذ فترة طويله وهو يعاني من قرحة ونزيف في المعدة ، وهم يمنعون عنه اى رعاية صحية ، ويتلكأون في العنايه به ، حتى يفوت الاوان ويقضى عليه ، تماما كما حدث لساندز وهي سياسة يتبعها النظام المصرى مع المعتقلين المعارضين لسياسته .

س — المعروف ان تنظيمات سياسيه عديده تقف في مواجهة النظام ، كيف ترى تأثير هذه التنظيمات على مسار الحركه الوطنيه المصريه .

ج — الحقيقه ان الشيوعين المصريين "الحزب الشيوعي المصرى" يلعب الدور الاساسي في قيادة الجماهير . وذلك نابع من الخبرة الطويلة في النضال للاستعمار والرجعيه ، وقد تعاظم هذا الدور بعد المؤتمر الاول للحزب الذى عقد وباعتراف السلطة داخل مصر نفسها ، والمعروف ان تنظيمات شيوعيه صغيره كانت منتشره في ارجاء مصر ، غير ان المؤتمر الاخير حفز الكثير من هذه التنظيمات الى حل نفسها والدخول الى الحزب ، وهذا يدفعني الى القول وبثقة تامه بأن المستقبل يبشر بالكثير — هناك طبعا حزب التجمع وهو الحزب العلني التقدمي الوحيد وهو يلعب دورا عظيما واساسيا في توحيد كل القوى الوطنيه والتقدميه لتقف في مواجهة النظام هناك ظاهرة في مصر وهي وجود شخصيات وطنيه وقضائية ، تلعب دورا مهما في العمل السياسي . لكن دورهم يظل قاصرا على تحويل هذا النضال الى نضال منظم ، وبالتالي يظل الشيوعيون هم الاطار الصحيح والمؤهل لاحتواء هذه الجماهير وتنظيمها ، وقيادتها .

الجماهير تبقى بحاجة الى تنظيم وعيها
نحن ندعو الى استنباط التاريخ
ووضعه في اطر علميه تقدميه .

س — شهدت فتره السبعينات في العالم العربي عامه ومصر خاصه متغيرات سياسيه واقتصاديه واجتماعيه حاده ، وكان لهذه المتغيرات انعكاساتها على واقع الحركه الثقافيه فهل لك ان تعطينا صوره عن الحياه الثقافيه في مصر ، في فتره السبعينات بوصفك شاهدا على المتغيرات ... وانعكاساتها ؟

ج — الحركه الثقافيه بشكل عام مرتبطه بالاوضاع السياسيه لشعب من الشعوب . وهي مرتبطه بواقع طبقي ، وواقع سياسي ، وبمنتجي هذه الثقافه ومتلقيها .. فالثقافه نتاج طبقه من الطبقات ، وعلينا ان نحدد مفهومها .. هل نعني بها واقع الحركه الادبيه واقع الازدهار من عدمه ؟ ازمه الابداع الفني ، ازمه التعبير بشكل عام ؟

Digitized by Birzeit University Library

س — فلنحددها بواقع الحركه الادبيه وازمتها

ج — اذا كان هناك ازمه في التعبير الادبي والفني والخلق هي ازمه نجدها عند الطبقه التي تعيش ازمه حكم ، وازمه الافلاس التام ، وعدم مقدرتها على تحقيق الاهداف الوطنيه للشعب .. ان الانهيار الثقافي ليس انهيارا شاملا ، ولكنه انهيار لثقافه الطبقه البرجوازيه بشكل عام التي تعيش حالة انتكاسه بعدما فشلت في تحقيق الاهداف العليا للشعب .. كالتنميه ، ومقاومه الاستعمار ، التصدى للتبعيه الاقتصاديه وانها في الوقت ذاته تتبنى اهدافا سياسيه واقتصاديه معاكسه لامال وطموحات الشعب المصرى وبالتالي ، فمثقفوها يعيشون ازمه حقيقيه في الابداع .. وهذا الافلاس ، والتوجه يفسر لنا اسباب سقوط الادباء والفنانيـن الكبار الذيـن عشنا في فترات سابقه على تناجهم .. وبدأوا يتخلون عن مبادئهم التي كانوا يطرحونها في اعمالهم ، او بشروا فيها في فتره من الفترات ، وتبنيناها .. ويتبنون افكارا ومواقف سياسيه منخاذله وخيانيـــة .

ان انهيار الطبقه البرجوازيه ككل .. وفشلها في قيادة الثورة الوطنية ، وتحقيق اهداف الشعب ، يعني انهيار مثقفيها ايضا .

لكن في الجانب المقابل ، نجد انه رغم ظروف القهر والمطارده ، يوجد ازدهار في الابداع الفني للمثقفين والكتاب الذين ما زالوا يتبنون اهداف الشعب العليا في التحرر والاستقلال وتحقيق العداله والديمقراطيـــه .

س — ولكن اعتقد بأن للادباء الملتزمين ازماتهم ايضـــا ؟

ج — لا ننكر ان للادباء والمثقفين التقدميين ازماتهم .. ولكن ازماتهم ليست ازمات ابداع وخلق فني ، وتنحصر ازماتهم في طرق التوصل امام سيطره السلطه الحاكمه وطبقتها البرجوازيه لاجهزه التوصيل ، ومنع هؤلاء من الوصول اليها والسماح لهم في مخاطبه الجماهير .

باختصار ، نستطيع القول ، بأن فتره السبعينات شهدت سقوط المسرح الرسمي في القصه والشعر والروايه ، وشهدت ازدهار المسرح الشعبي ، ليس بالكم فقط ، بل بلكيف ايضا والكتاب التقدميون يتمتعون بقدره ابداعيه ، ولهم سماتهم الخاصه المنظوره ، والقادره على العطاء ، على العكس منها في فتره الستينات التي اظهرت فيها الطبقه الحاكمه عددا من الادباء ، وهذا يعود الى التوجه الذى كان عندها ، كالتنميه الاقتصاديه ، وتحقيق الديمقراطيه الاجتماعيه بشكل او بآخر ، والاقتراب من متطلبات الجماهير .

في الستينات ، كان الادباء والمثقفون يبحثون جميعا عن مخرج لكي تتواصل الاجيال ، ولكن في السبعينات حدث الانقسام الكبير في كل شيء ، ووضوح عند الطبقه الحاكمه في انتكاستها وعجزها عن تحقيق متطلبات الجماهير العريضه ، وبلوره عند الطبقات الشعبيه وممثليها سواء مثقفين او سياسيين في تبني الاهداف الاشتراكيه والتحرريه وكان لا بد من حدوث هذه الازمه التي تظل ازمه ديمقراطيه التعبير قبل كل شيء ..

س — تحدثت عن ازمة الديمقراطية التي يعاني منها الكتاب الملتزمون امام سيطرة الطبقة الحاكمه على الوسائل الاعلاميه ، وامام هذا الحصار يتوجب على الاديب ان يبحث عن وسائل يخترق فيها الحصار السلطوى المفروض ، واعتقد ان لادباء مصر الملتزمين محاولاتهم على اعتبار انها جزء من نضالاتهم ، فهل لك ان تعطينا صورة عن محاولات الاختراق ؟

ج — بدءا اقول ، بأنه تشكلت في مصر لجنة الدفاع الثقافية الوطنية ، وهذه اللجنة هي رد على محاولات التزوير والتزييف التي تقوم بها السلطة ومثقفوها ، فمن خلال هذه اللجنة يمكن فضح محاولات النظام الرامية الى طمس الهوية القومية .. وهناك وسائل اخرى ابتدعها المثقفون التقدميون لتوصيل نتاجاتهم وابداعاتهم للجماهير ، ومنها الطبقات الفقيرة ، واعني بها ان يقوم اديب بطباعة قصيدة ، او عدة قصائد على شكل ملزمة ، فهي اولا لا تكلفه كثيرا وثانيا يستطيع توصيلها للجماهير بثمن

Digitized by Birzeit University Library

قليل ، والندوات المستمرة سواء في الجامعات او في تجمعات العمال ... او في الشوارع .

دواوين بالعامية للشاعر سمير عبـــد البـاقي

- × كلام من القلب
- × اغنيات للادين السمرا
- × غنوة لمصر
- × في حب مصر
- × نبوت الغفير
- × اناشيد الحزن اللبنانية
- × فرحة ليست للحبر السرى
- × في السجن يكبرون
- × رسائل الى ليلى العامريه
- × احزان ناصريه
- × قصائد غير شخصيه
- × جريدة حائط مصرية عن اغنيال كمال جنبلاط
- × النشيد الفقير لبابلو نيرودا
- × غنوة للحرب
- × غنوة للسلام
- × كانت وعاشت مصر
- × نشيد الاناشيد المصرى

ادب الاطفال

- × رسالة الى الشمس " ٢٥ قصة للاطفال "
- × ملاعيب تعاليبو "روايه للاطفال "
- × الشاطر حسن قرن الفول
- × مغامرة في مملكة القرود

في مسرح / له عدة عروض منها

- × في حب مصر
- × عاشت مصر
- × غنوة للحرب ، غنوه للسلام
- × ليلة امريكية
- × الجميزه
- × الرجل الذى لم يحضر الاجتماع
- × سيرة سيف سي اليزل

في الروايه

- × هكذا تكلمت الاحجار

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

الذكرى المحاربة

فاطمة الشامي

شعر ان السجن يمشط شعر الذكرى المسترسل لم تمنعه الجدران ان يتسلل بخياله اليها . الى حبيبته سميه ذات القلب الذهبي والعيون البحريه ولم تمنعه كلمات المحقق الوعرة من قراءة ذكرياته على ساق شجرة السنديان . كل شيء هنا ينبض سمية يسقي ذكراها الناعمة والوطن يظلله ويرفعه شامخا ابيا . اى سجن هذا أكاد أكون حرا بين حيطانه الباردة واسلاكه الشائكة أي سجن هذا ؟ كنت اتوقع أن اغيب عن سمية وعن حبات تراب الوطن الزمردية لكنني خر بقلبي وفكرى نعم حر وجسدى هذا ثقيل جدا بطيء وخامل ولكن معك الحق أيها الجسد لقد عانيت وعانيت ومع هذا فانت ثقيل كالموت والفراق . لا حاجة بي اليك في هذا المكان لكني سأحتاج اليك ان آجلا او عاجلا ستستعيد نشاطك بعد هذا النقب الثقيل وتثبت انك خفيفا كخيالي ودقات قلبي السريعة . هكذا فكر نضال في غياهب سجن الحلو .. والمر والحنون سنوات وسنوات كانت الزيارة بالنسبة له هامة يرى أمه وأخاه الاصغر وقبضة والده المتشققة وحبيبته سمية ذات القلب الذهبي والعيون البحرية ذاته الاخرى والوان صباه المزركشة ولكن الزيارة كانت تشغله كثيرا أين عادل صديقي .. أينه

لماذا لا يزورني ؟

تراه ضل طريق الصداقة .. تراه انقلب .. لا ترى أغمضت عيناه المشاكل .. ربما ومع هذا فهو ملام ملام .. لم يزرني ابدا لم يبرهن على اصالة صداقته وعمقها .

مضت الايام وتلتها السنين وفي احدى الزيارات لم يشرق وجه سمية ولم يتغلغل في شقوق السجن وجوّه الجاد . ماذا حدث ؟ ماذا اصابني ..؟ ماذا خبأ لي قدرى ؟ هل فكر الاصدقاء والاحباب ان الخيوط الذهبية استحالت خيوط عنكبوت باهته وهل الحياة في السجن موت بالنسبة لهم . امر خطير هذا .

اين عادل ؟ .. اين سمية ؟

لم تجرؤ ام نضال ان تكشف الحقائق الرهيبة

Digitized by Birzeit University Library

قالت في نفسها سأتدرج في الكشف . لاحظت الظلام يزحف على وجه نضال والحيرة تدق اعصابه .. تسحقها . كيف تروى له حقيقة الامر كيف تروى شيئا مرا ....

قال نضال والم يسرى في اعصابه ما حالة البلدة يا امي والاصدقاء . تلعثمت الام ولكن الزيارة انتهت والحراس يعلنون .

عادت السيارة ووالد نضال ووالدته واخيه اصوات صامته وابهام مشمس وسرعان ما قالت ام نضال يا الهي ماذا يحدث في هذه الايام اشياء غير حقيقيه اشياء حقيقيه الطين بله والى متى سأخفي عن نضال الحقيقة انه يعرفها لا شك يعرفها فلقد قرأت في عينيه صورة سمية وحركاتها الصامتة لا استطيع ان اقول ان عادل قد هام بها واستدرجها لحبه وحاول ان يتزوجها ولو بالقوة .

قال اخوه ولكن الا ترين يا اماه ان تعلق سمية بنضال ورفضها الزواج بعادل شيء يبعث الرضى في نفس نضال قبل ان تغتالها يد الشر . اجابت الام نضال نعم ولكن اغتيالها صعب لا يتسع نضال له لا يتقبله شيء سيخسف الارض تحت قدميه وعندما يسألني عن سبب اغتيالها هل استطيع ان اقول السبب وهل استطيع القول ان عادل صديق صباه قد كان خائنا ووظيفته التجسس والمراقبة .

ثم هل استطيع القول انه تآمر على سميه وأظهر لها صورا لفتيات كان يعشقها نضال اشياء صعبة لا اقوى على قولها البتة .

قال الوالد والسيارة قد بدأت رحلتها داخل القرية وقاحة انحطاط أوغاد ، مجتمع وسخ بعض الشيء ولكن الايام القادمة ستنتقم وتنتقم . لماذا لا يكون المجتمع نظيفا واعيا للمرحلة متماسكا .

ارجوك يا ام نضال ان لا تبوحي بشيء لولدنا قولي له ان سمية ماتت بداء السرطان مثلا قولي ان عادل سافر الى الامارات العربية قولي اننا بخير والمجتمع بخير قولي المثاليات دائما وابدا .

مرت الايام تلو الايام والسر الرهيب في دائرته الضيقة حتى انتهت محكومية نضال فتوجه الاب والام وبقية افراد الاسرة لمرافقة نضال من سجنه الى قريته كانت الفرحة وارفة تملأ السهول والروابي بأنغام رفيقة والسيارة تنهب الارض نهبا قالت الام في نفسها سأروى لنضال كل شيء الان قبل ان يصل القرية نظرت لنضال . بادلها النظرة . أماطت وجهها شعر نضال بشيء ثقيل يعصره ماذا يا اماه ــ قولي شيئا عن سمية قولي انني رجل صلب لا تهزمني الاهوال .

قولي عن عادل شيئا ان هذا الجو غامض وعيونك المفتاح . صمتت الام ثم قالت ودموعها تنهمر بسخاء سمية يا ولدي قتلت برصاصة طائشة بظروف غامضة رحمها الله وعادل مشبوه يا ولدي مشبوه احذر منه .

انفجر نضال صرخ ويلهم ، الجبناء الخونة هل فكروا انني رحلت الى آخر العالم هل فكروا ان السجن موت لماذا ينحرف الناس والعصا الغليظة تهوى على رؤوسهم لماذا لا يجبنون يسيرون بعيون معصوبة في هذا الظلام الفاحش .

آه يا سمية يا حبيبتي ثقي أن حبك يقوى وأنك حية لا تزال ذكرياتك تأكل معي وتشرب لا تزالين معي ومعي نحاسب هذا الزمن .

نام نضال ليلته شارد الفكر مرهقا لاستقبال الناس له بحرارة مرهقا بقصه سمية وتجلده . لكن عادل لم يكن ضمن الزوار مما أثار تساؤلات وتساؤلات أيقن نضال أن عادل مشبوه وخطير وأنه وراء مصرع سميه في اليوم التالي توجه نضال لشجرة السنديان البسيطة مرقده وجنة ذكراه يراجع صفحات عشقه الطويل يقرأ الخرابيش ويعانق الصور سار ... وسار .. اقترب ... يا للهول أين الشجرة ؟ رباه أين الشجرة ؟ حتى الذكريات تقتل في هذا الزمن حتى الذكريات ترحل يا الهي كانت هنا وقف وجبل شاهق يقف فوق رأسه مدهوشا زائغ العينين ولكن اصواتا تأتيه تأتيه من وراء التلة اتجه بسمعه .. اتجه بجسمه .... اقترب .

انهم اطفال يلهون وساق شجرة السنديان امامهم يقطعون منها . يصنعون سيوفا ورماحا وسفنا .

مصنوعات حربية استولى الفرح على نضال ان ذكراه محاربة لكن تراث ذكرياته أدوات الاطفال ذكرته بعادل قال : لا بد أن أصفي حسابي مع عادل عاد وخطاه تسبقه الى عادل . .....

Digitized by Birzeit University Library

أتبرع رفيقاً لا مرشداً

سامي الكيلاني

(الى سميح القاسم بعد قراءة قصيدتيه " الطريق الى جبل النار " و " الوصول الى جبل النار ")

عزيزي
وصلتنا رسالتك المعنويه
الى كل الجذى التي لم يطفئها الرماد
وقرانا في السطر الواحد سطريـن ،
صفحات ، كتبا ، موسوعات ،
ومن خلف القضبان ، الاسلاك ، الاشواك
من بين الطور وبين الطور
ما بين السلك وبين السلك
كالبرق الخاطف المحكـم
المح أهل الرامة ، طمرة ، دالية الكرمل
سخنيـن .....
تحلبون الصخر كروما : عنبا ، تينـا ،
لوزا ، زيتـون
وكل منكم يحمل سيفا ، دبوسا ،
عرّادا ، حجرا (اللي بيجي بوجهه)
كي يسقط كل مشاريع " التطوير "
فازغـرد
يزغرد كل رفاقي
تتقلـص أيام القيـد
تـزول
تهوى الجدران ، البوابات ،
تنغلق الاقفـال كما اكواز الرمان
فاركض
اقبّل اما طمراوية ، نصراوية ....
من اي مكان في هذى الارض
فـ"يعبد" صارت من النهر الى البحر
ومن رأس النـاقورة حتى سينـا ،
وأمي في يعبـد
تحضنني
– يـا ولدي من أين أتيت ؟
– .....
– أيوه ، أعرف أعرف ، الله عليهم .

Digitized by Birzeit University Library

كيف اللي وراك ، بتجوعوا ، بتسقعوا ؟
يا نـار قلبي يمّا
اطمنّنـها
يصل الجوع المعدة ، لكن لا يصل العزم
يصل البرد نخاع العظم ، لكن لا يصل القلب

■

عزيزي ،
واعتبي . تطلب مرشـد
كالسيـاح تطلب مرشد
في دارك تطلب مرشد
الا تعرف كل بلاط الجـادات ،
خان التجـار ، باب الساحة ....
قبل الحبـس بـأيام قالت لي احداهن :
ما بين الحصوة فينـا
وحصوات حواكير الجليل ، دروب الجليل
وحدة دم وحدة معدن ،
لا نحتـاج لادنى او اعلى مستويات التمثيل
حين نئن لدوسة بسطار محتل
معنا تئن الحجارة والاشجار في جبال الجليل
حين يقذفنا في وجه الدبابة
تلاميذ وتلميذات " عادل زعيتر " ×
او " عمرو بن العاص "
تهيل لتردفنا أحجار السناسل في الجليل .
واعتبي تطلب مرشد
اقبلني رفيقا يعرف المفارق أكثر منك
ـ ليس الا ـ
هذا الدّوار ، تعرفه
صوره الصحفيون من كل الاجناس ، بثّته كل
محطات التلفزيون ، قالوا عنه :
ساحة حرب . في المظاهرات
يقال : حررنا الدوار ، سقط الدوار ، الحرب
سجال قنابل غاز تتساقط فوق الدوار ، طلقات
حية توجه لصدور الاطفال على الدوار، جرحوا
واحد ، مسكوا اثنين ، نفد الباقي

وهذا المدخل يوصلك الى باب الساحة

× مدارس ابتدائية في نابلس .

سمعت عن البوابات ؟ اغلقوه بواحدة
لتكثيف الحصار ، حددوها ظهرا ، فقدوها ما
لقيوها قبل الليل . هذا المدخل لا يغلق
لا بالبوابات ولا بالعسكر.
ولا بمراسيم الحظر على التجوال

وهذا الخان ، يدعى خان التجار
سمعنا يوما أن الازعر كانوا سياتي
كي يبحث عن نقش في حجر جدار ،
عن نجمة داود
عن اثبات للملكية ،حضرنا الاحجار، البلطات
الاموات، عسكرنا ،حتى نوفي الضيف ثقيل الظل
الواجب
لكن حضرته جوبن ، وما عتّب باب الخان ،
واستقبلنا بدلا منه شارلي ورفاقه
استقبلناهم بباقات الزهر وحمام أبيض. وسدور
الحلويات النابلسية ،من كل الاصناف .

■

عزيزي ،
اخبارنا كما تريد ، عال العال :
ـ جارى في البرش ، بدويا ابن بدوية . ابن شهيد
صارت أمه تعرف لينين . لا تضحك
أوصاها كي تجلب كتبا تحمل هذا الاسم
ذهبت تبحث ، لم يفهمها صاحب مكتبة واحد
كانت تطلب ، "ولدي يريد كتب لاينين "
عادت بعد الشهر تندب حظا
يا ولدي لم يفهمني أحد ،
لكن يا ولدي من اينين هذا ؟
لم يسالها كيف الاهل ولا كيف الجيران
استهلك نصف الساعة ليعرفها من "اينين "
سينتظر شهرا آخر حتى يعرف أخبار الاهل
ـ جارى الاخر شيخ في الستين
قدم زهرات يانعة لتزين روض الثورة
لكن هل يكفي ،
ادرك ان لا يغنى ولد عن والد ،
قدم نفسه

Digitized by Birzeit University Library

قد يخرج أو لا يخرج بعد السنوات الست ،
يحدثنا ، يبعث تاريخ الايام حيا في كلماته
لكن يسخر منا دوما ،
انتم جيل اليوم مثل طوق الفتّي
كنا في الستة وثلاثين
نخطف سلاح الجندى كي نتسلح
كنا ..... كنا .....
ـ وهل يكفي ذلك ؟
اولاد اليوم نعرف أكثر
فيجيب : تغلبني في هذى النقطة ،
تحكون كلاما لم نعرفه ، آه لو كنا نعرفه ،
حلو مثل السكر
عن الوطن ، عن العمال ، عن الفلاحين ،
عن الثورة ،
ـ وآخر ،
جاءت لزيارته طفلته " نسرين "
اصرّت ان تأخذه معهم للدار
ـ يا بابا لا اقدر
ظنته المذنب ، لماذا تتركنا
كل بنات الجيران "باباتهم" عندهم
اما أنت فتتركنا
حردت خلف الشبك
غالب دمعته ، تبسم غصبا عنه
ـ يا بابا نسرين ، هذا الشرطي يمنعني
هجمت نسرين على الشرطي ضربا
ضربا بالقبضات الطفلية
لكن الشرطي رن الجرس الملعون
لينهي نصف الساعة ، وليتخلص من نسرين .

■

عزيزي ،
الكل بخير ما دمتم
نهديكم كل الاشواق
الكل بخير
وأسلم لاحبائك

■ ■ ■

قرأ ...

فضال عز الدين البطاري

" مهداة الى ن.س . مع خالص الحب "

في حرم الجامعة النقيا ..
كان وجهها مثل خارطة الوطن ، فشدها اليه ..
وكان شعرها متمردا يسافر في كل الجهات ، ففرر انه يعشق التمرّد .. وكانت عيناها تشعان ببريق هو مزيجا من الحزن والامل ، فصمم على ان يسألها :ـ
" أتسمحين لي بأن أتعرف عليك ؟ "
رفعت اليه عينيها وابتسمت . فتم التعارف بينهما ..

في المرة الثانية تحدثا عن أشياء كثيرة .. حدثها عن الفقراء والعمال وكل المكافحين .. حدثها عن الظلم والاستبداد ووسائل قمع الدكتاتوريّة ..
حدثها عن المتخمين في القصور الشاهقة ، ومصاصي دماء الشعب .. وحدّثته هي عن الاطفال والعصافير والشمس والمطر ، وصفقت بحرارة حين قاطعها قائلا : " أنا فقير " .

بعد أيام طلبت منه (متمازحة) هديّة ، فأهداها مجلة (محليّة) فاشترت جميع اعدادها السابقة وصارت تنتظر صدور العدد اللاحق بفارغ صبر .

بعدليلة طويلة من السهر والتعذب ، قررت أن تكتب له بأنها تحبه فكتبت قصيده عن موسم المطر القادم ، وقدمتها له في الصباح ، فهمس لها بعد أن أتم قراءتها : ـ
" الان قررت أني أحبك وبجنون ".

Digitized by Birzeit University Library

ناتاشا والحب على طريقة الفقراء

سعود قبيلات

..والسيارة تنحدر مسرعة نحو الاغوار، تصارع مساحتها المطر المتساقط بغزارة، كانت اعماقه مستودعا هائلا لاحاسيس كثيرة.. الشوق، الامل، الاصرار، الحزن كان بينها سيدا كبيرا..

ورغم ثرثرة ركاب السيارة، كانت احداث الصباح تنفرد به، تحيله الى مجرد كتلة لحمية ترتمي في جانب من المقعد الخلفي..تصبح الثرثرة، حركات الايدى، الوجوه، كل الاشياء الاخرى، امورا تخرج عن نطاق وعيه..ولم يكن يعرف كم هو مر مذاق الفراق حتى تعانقا هذا الصباح، امام الجميع، يعلنان بدء الصلب..

"اربع سنين رسمنا صور ايامها على شوارع عمان وفي كل ركن من الجامعة..

آه..ناتاشا..الثلج، انت، وطقوس رائعة لعشق عظيم، اعدتم صورة جميلة في الذاكرة، فناديتك ناتاشا..

اعجبك ذلك فأقسمت: سأضربك على خدك اذا ناديتني بغير هذا الاسم.. وكنا نطوف كل الطرقات نرسم صورا لمستقبل سوف ياتي، نتعاطى في لحظات عابرة افراحا باهظة الثمن..

وكان فرح الدنيا اننا معا..

والان، ما نحن نفترق.

قلنا: سنلتقي.

– سنلتقي.

وربما كنا نتعاطى المستحيل للمرة الالف.

..ناتاشا لم تكوني ابدا وسوف لن تكوني حلما عابرا استقر على الاجفان لبضع ثوان ثم مضى..

فالوطن، الفقراء، الاشواك. حرس الامل، حرس المدينة، الفرح القادم..تلك اشياء لا تفرط بها الذاكرة ابدا. وانت كنت كل تلك الاشياء..

فحين كنت ابحر في عينيك، تتشبع اجزائي بعبير الوطن ويلوح لي فقراء بلادي، عراة، ضعفاء لاول وهلة – ثم حين ابحر اكثر، اراهم يكبرون ويكبرون.

الفقراء يصبحون اجمل الناس، احسن الناس، عمالقة فوق الارض..

فاعود الى الشاطئ بكل الفرح والاصرار.

واحيانا كثيرة، اذ اكون وحدي في غرفتي الثلاجة الاشياء حولي يلفها صقيع قاتل..اعماقي، ايضا، تزخر بخوف قاتل، فهذا الصقيع يوشك ان يغزو فؤادي..حينها يكون الابحار في عينيك قارب نجاة..قابحر..الدف، المطلق في عينيك يلف اجزائي، يتسلل عبرها.

الصقيع يتراجع ومن حولي ترميه الاشياء عنها..

الغرفة الثلاجة يعمها الدفء ايضا.

وحين تزار ريح خريفية في الخارج، تنفض الاشجار عن اجسامها الاوراق الخضراء..

اخشى ان تتردد تلك الافعال في فؤادي، حينها اصرخ: اين قارب النجاة؟

فياتيني القارب، ولما يكون الابحار، يحق لي ان اسال: اين ذهبت رياح الخريف..كيف استعادت الاشجار زينتها؟

واذا ما حاصرتني الاشياء المبتذلة، الوجوه المتصنعة وبدا الغثيان يتسرب الي..

اصرخ: ناتاشا..ناتاشا..ناتاشا..

ولا ادرى كيف تاتيني ناتاشا، دفئا من الحب، بساطة الفقراء، القوة، التحدي..عندما، ابصق في الوجوه المستعارة، المحنطة بمساحيق لا

Digitized by Birzeit University Library

اعرف اسماء ما . وكانت ناتاشا تعلمني كيف يكون بمقدور الانسان ان يصبح ملاكا . . ففي لحظات عابرة، حين يتراكم فوق رأسينا، غبار الدنيا، تعب الدنيا، وجع الدنيا . . ويمتهن، آخرون ، لعبة تمزيق الزمن فوق كواكب بعيدة .

في لحظة نشوة، نركض . . نركض . . نركض، نجتاز كل مدارات الارض ، تعب نكاد نفقد توازننا وتصرخ ناتاشا : اخذتنا اللعبة . .

فنعود الى الارض ، وحين نلتم نراها يخدشنا حصاها . . نتحسس تربتها بيدينا . . تتلون ذرات منها بدمنا، عرقنا . . نندم . . نندم، وفي ذروة الندم نبكي . . ونحاكم ذاتينا بتهمة سرقة ممتلكات الغير . .

الم نتفق ذات يوم باننا ملك للغير ؟ ؟

مع ذلك ما نحن سرقنا ذاتينا في رحلة رومانسية الى كواكب بعيدة . . ويكون الحكم اعدام لكل اللحظات المسروقة مع غرامة من جيب لحظاتنا القادمة .

. . ناتاشا . . لكننا انسان يا ناتاشا . .

وكانت تلك اربع سنين رسمنا صور ايامها على شوارع عمان وفي كل ركن الجامعة . . ايـــام المطر يا ناتاشا، الربيع ، الصيف ، الخريف ، كل الفصول . . كنا معا . . رغم حرس الامل ورغم حرس المدينة . . كنا معا، نمارس عشقين احدهما في احشاء الاخر . . وكان فرح الدنيا اننا معا . .

وحين كان سيف الارهاب يلوح في الافق كنت تقولين : اذا وجدت نفسك يوما وحيدا في زنزانة فتذكر باننا معا، بالاشياء التي نحب، بالاشياء التي نكره، وبكل الاشياء التي في اعماقنا .

ناتاشا . . هل كان للسكين ان تزرع فينا بأس المحارب . . فرقة المهزومين ؟

هل كان للسكين ان تجعلك اغنية منسية ؟ ؟

ناتاشا . . انت في لحن يتجدد . . ما دامت تفوح منك رائحة الوطن ، وما دمت اعشق تلك الرائحة . . والسيارة تنحدر مسرعة نحو الاغوار، المطر المنهمر بشدة، تصارعه مساحتا السيارة يعيد الى الذاكرة صورا رائعة لبراءة الطفولة . .

"كنا نخرج معا . . تتشبع ثيابنا القديمة بمياه المطر ونغني :

(شتي وزيدي . . بيتنا حديدي)

وتنغرس اقدامنا في الطين . . تصرخ امهاتنا من ابواب غرف الطوب العتيقة او من الطوابين المتصاعدة الدخان ، من زرائب الماشية . . :

ارجعوا يا اولاد . . يا ملاعين عودوا . . المطر يبلل ثيابكوا . . الله يلعنك يا ولدي احمد . . انا لا يمكن آخذك معي بثيابك الوسخة هذي لبيت خالك . . امينة يا ملعونة بشرف ابوي لاقول لابوكي ويتعالى صراخنا، فرحا بالمطر، وتجاهلا لندأ الامهات . . وحين كانت الشمس تظهر فجأة من بين الغيوم كنا نغني لها ايضا :

(شمست شميسة . . على حيطان عيشة . .)

ونرقب بفرح اكبر ظهر قوس قزح . .

وفي المساء، حين تكون الليالي مظلمة، يصبح الامر مواتيا كي تعرض الطبيعة اشكال جنونها عبر الريح، المطر، البرق، الرعد . . وترتعد قرائصنا، رغم الدفء الذي يشيعه موقد الحطب، بسبب الاشباح التي تنشرها بسخاء حكايات الجدة وفي كل الاركان . .

آه . . يا تلك الايام . .

امينة كبرت . . ما عدنا نلعب تحت المطر، لكنا في الخفاء بدأنا لعبة جديدة، ما لبثت ان ماتت حين اكتشفنا اننا لا نتقن معا سوى لعبة المطر . .

امينة الان ام لاطفال لا اعرف عددهم . . وربما يخرجون تحت مياه المطر، يتصايحون . . تناديهم هي بدورها : (يا اولاد ارجعوا . المطر يبلل ثيابكوا . .)

. . والسيارة تنحدر مسرعة نحو الاغوار . تصارع مساحتاها المطر المنهمر بغزارة والركاب فيها يثرثرون باشياء متفرقة، اخترق الحواجز وبين الركاب صوت حزين امه كانت تحبه بجنون . . حين سمعت بانهم قتلوه لم تصدق ذلك وكادت تمزق نفسها .

"— امك ايضا تحبك بجنون . . لكم يقتلك الشوق اليها . تلك المخلوقة العزيزة تحب بصمت انك لا تذكر انها قالت لك او لواحد من اخوتك : احبك يا ولدي . .

لكنها بيديها، بعينيها، بجميع اجزاء جسمها . كانت تقول :

احبكم جميعا وبجنون . .

Digitized by Birzeit University Library

وحين تسمع ان شابا مات او حدث له امر سيء كانت تسأل :

(اله ام ؟)

اذا كان الجواب نعم، تتنهد وبحزن تقول :

(يا ويلي عليها..)

كانت تكره الحرب.. وحين تسمع عن ضحايا حرب اى حرب، بالم، بحقد تقول :

(يا حسرتي على شبابهم..الله لا يوفق من كان السبب)

هكذا كانت امك. تلك التي ذهب زوجها، ذات يوم، ولم يعد..كنت صغيرا حينذاك لكن بكاء ما كان يمزق احشاءك..لذا فحين كنت ترى ابتسامة عابرة تغزو شفتيها، ببراءتك الطفولية، يخيل اليك بانها فرصة مواتية، فترجوها :

(امي قولي انك ما تبكي بعد اليوم)

يهتز كيانك من اعماقه وتندم على كلام قلته حين ترى الدموع تاركة منبعها عبر اجزاء الوجه الحبيب ولحظتها، تهرب..تهرب، بلا هدف، تجلس وحدك بعيدا عن البيت ثم تبكي بدورك..وكبرت صرت تفخر بابيك لما عرفت ان دمه سال عند قدمي معشوقته الارض..

انت ايضا صارت الارض معشوقتك الاولى، وها انت تعود اليها، ترتسم في ذهنك الف صورة لما تنوى عمله هناك..ستكون سعيدا بذلك..ناتاشا ايضا سوف تكون سعيدة..آه..ناتاشا..عهدا لن اسرق ممتلكات الاخرين..ولن تفصل ما بيننا السكين او اميال عديدة، ما دامت تفوح منك رائحة الوطن وما دمت اعشق تلك الرائحة..

فعشقنا علمنا كيف نكون معا عبر اطول المسافات، علمنا ان لا نكف عن الترحال الى مدن الفرح، حتى وان كانت بعيدة، حتى وان كان الف غول على الطريق. والطريق بدوره مكتظ بالاشواك ويسكن مئة عزرائيل على جنباته واقول يا ناتاشا :-

نحن معا..معا، رغم كل المسافات ما بيننا، بالاشياء التي نحب، بالاشياء التي نكره وبكل ما في اعماقنا..

وفي اعماقي شيء جميل يقول، باننا سنلتقى سنلتقى، ذات صباح، نرقب بفرح طائر السنونو يحلق في سماء بلادنا.."

السيارة المنحدرة مسرعة نحو الاغوار تتوقف يتوقف ايضا صراع مساحتيها مع الامطار. يكف الركاب عن ثرثرتهم ويتركون السيارة، هو ايضا، يقوم بنفس الفعل، يتجهون جميعا الى حيث الحشود الكبيرة تتماوج..فللمغادرة من الوطن الى الوطن اجراءات عند الطرف الشرقي من الجسر.

ثم وهو، يفوز بركوب باص قديم مع عشرات غيره، بعد صراع طويل بينهم ومع آخرين فشلوا، يقترب الجسر بينما يتجدد احساس قديم : كم انت قريب يا وطني وكم انت في ذات الوقت بعيد..ثم والباص يقف، تتكسر اللغة العربية على لسان جندى اسرائيلي صعد الى الباص.

(كل واخد تصريخو بايدو)..

وحين ينطلق الباص من جديد نحو الغرب، يتجدد احساس قديم ايضا بكون اللحظات القادمة مشبعة بالمصيرية..

ويولد من رحم هذا الجو المكتظ بكل الاشياء، سؤال هو الاخر قديم :-

ترى الوطن اقرب ام الزنزانة ؟

ويقف الباص في موقع غربي الجسر، ينظم ركابه الى الحشود الكبيرة، تتعدد الطوابير..فللوطن من الوطن اجراءات دخول هناك. وحين يصيح احمد، (احمد) يكون امرا عاديا ان تسمع كلمات من قبيل :-

(بولي كان..كيفيرت تعالي لهون..روخ..تصريخك)..

..وتتعالى النداءات في كل مكان، فيهرع من يسمعون اسماءهم بين فرح وخوف..اما هو فقد بدت له الامور كقرص الشمس، بعد اسئلة قذفه بها ضابط (الشين بيت)..وفي لحظة كان الانسان يقتل قرونا عديدة من الزمن مضت، فوجد نفسه وجها لوجه امام الانسان الاول وراحت الزنزانة تقترب..

..ثم، والسيارة العسكرية تنطلق به بسرعة نحو الغرب، القيود بيديه، بنادق وجنود حوله..كان الوطن يمتد عبر اجزاء ناتاشا..وكانت ناتاشا تمتد عبر اجزاء الوطن، بكل وجع الدنيا اغمض عينيه على تلك الصورة ورتل آيات من كتاب الوطن وناتاشا..

Digitized by Birzeit University Library

قطرة الماء أذبحك واشرب أشرب

عيسى قراقع
جامعة بيت لحم

الاهـــداء :-

الى ابراهيم ابو غزاله زميل الزنازين والفـــرح .

قوض عيونك للمناجل اغنية وماء
ما ضر صوتك لو تبدى للحشاشة
شهقة فرت عن القسم الاخير
سواحلا ودماء ....
يا ابن الرمال ادق في هام الصحارى
قسوتي علما يصفق للسحاب وللهواء
جيلا يقوم على رموشي فيه
حر الموت او تعب البكاء ....
يا ابن الجدار جدارك المهدوم في جسدى
عقيقا في حنايا البحر تبصقه
النوارس للشواطئ والذهول
فاقتسم الموات معي ولا تحشو
الرحيل حداء
هي قبضة الشجر المعبق بالاغاني
انبض الرامي السهام فزغرد
القمر المعمس بالمعاني
هي في المخيم كالخميرة والرغيف
تفتر عن زبد يضوع من التراب . من الرصيف
ولد ينز من العوارض صرخة
يحبو على جوعي وينثر في فمي طعم الرغاء
هذا مخيمنا المشوه فاقتحوا
قلب الحجارة وانزعوا ذاك الغطاء
وتناسلوا ديدان فوق دمي
وانتشروا جرادا او عواء
لا ينتني المحراث في خد الثرى
ما دام يجبل بالنجوم وبالعناء ....
قوض عيونك فالجليل بحلمه
العشرين لم يكبو ....
ولم تزل العروسة للمنية واللقاء ، حلما
تفصده الورود ، يفر من
غصب الجياع اذا تجذر في العراء ....
تنمو الضحية في الشوارع نخلة
وعلامة
وتخرج من دوائرها الظلال عصافة
للريح تبذرنا عيونا في الظلام
وفي الغمامة ....
حسبك الظل المتيم بالطحالب
والقفار
مزمارها الاطيار من عب الصراخ
ومن تمزق دمية تحت الجدار
تمشي بلحمي كالحنين الى البيارق
والنهار ....
اى تينة الافلاذ التمس البقاء
ولو قليلا ...
فالازمة جاءها البركان
اشتعل السكون وصار خوفي
كالصلاة وكالغرار ....
اى غربتي . قمر يشبث فـّي
لون العشق ، يفتح في يدى
كالمرافئ والبحار ....
قوض عيونك حسبك الاطفال
والغسق القتيل
ترميك من طعناتها نوح النخيل
الى النخيل
وتعمد الزيتون في
دمك المهيأ للرحيل ....
اهبط عن السحب البطيئة
انت ذياك البديل

Digitized by Birzeit University Library

من تاريخ العائلات الفلسطينية

الجزء الرابع

الصراع على عكا ..

بين الزيادنة والجزار

بقلم : موسى علوش

تعود أسرة الزيادنه بنسبها الى زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب . وكانت تلك الاسرة تقيم في مضارب بني أسد بالقرب من معرة النعمان الواقعة بين حلب ودمشق ، وكان شيخ الاسرة يدعى الشيخ علي وله ولد اسمه عمر وعندما تزوج عمر رزق بأولاد ذكور ثلاثة هم علي وسعد وظاهر ونتيجة لخلاف وقع بين الشيخ عمر وبين بني اسد فقد ترك مضاربهم وانتقل للسكن في مدينة الخليل ثم لم يلبث ان انتقل في عام ١٧٠١ الى مدينة طبريا . وكان الشيخ عمر قد لمس في ولده الصغير ظاهر النجابة والذكاء منذ حداثته ، لذلك ، فقد الحقه بشيخ عالم يدعى الشيخ عبد القادر الحفناوي ليعلمه ويؤدبه . وحدث ان توفي عمر ثم لم يلبث ان تبعه ابنه البكر علي فقام الابن الثاني سعد برعاية شؤون الاسرة مقام أبيه .

وحدث بعد ذلك ان نزل كل من الامير قعدان والامير فايز من امراء قبيلة بني صقر ضيوفا على الشيخ سعد فاستقبلهما استقبالا حسنا وأكرم وفادتهما فاعجبا به وأحباه ثم اقنعاه بالانتقال الى جوارهم في منطقة مدينة صفد ، وقبل سعد فانتقل مع أسرته الى هناك حيث نزل في قرية (عرابه البطوف) في عام ١٧٣٠ م .

مجيء الامير زيدان

جاء الامير زيدان من بلاد الحجاز بسبب نزاع مع احد الامراء وقبل ايضا بسبب المحل الذى أصابه البلاد الحجازية شرقي مكه . ونزل في مرج بن عامر وهو من بلاد حارث ، وكان صاحب حلال وماشيه لا تعد ولا تحصى وأخذ يقدم الاكرام لكل من حصر الى بيته فازداد حب أهالي البلاد له

Digitized by Birzeit University Library

وأخذ يزيد في اكراميهم واصبحوا يقدمون له أربعة أحمال من الحنطة واربعة أحمال من الشعير عن كل قرية . ولما تمكنت المحبه مع الامير زيدان حضر أهالي البلاد الى الامير زيدان في عيد الضحية يقدمون له الذبائح فقال لاوجه القرى: يا مشايخ كيف تقولون في غباوتكم اسلاما ونصارى وشيخكم جميعا درزى والدرزى من اكبر الكفار وأنتم أصحاب البلاد فكان الجواب : يا أمير هذا هو الذى نريده ونبكي عليه ونحن في قبضة يدك فقال لهم : اجمعوا أهالي القرى وفي ليلة الجمعة تكون الجموع في قرية صفورية . ولما تجمعت الجموع في صفورية حضر الامير زيدان وقسم الجموع على قدر القرى التي كان فيها الدروز ، فارسل جماعة مع ابن اخيه ظاهر الى صفد وارسل جماعة مع عمر بن ظاهر الى طبريا وتقلد هو قيادة فرقة من الجموع وتوجه على شفا عمرو وحدد موعد الهجوم قبل طلوع الفجر بنصف ساعه وحدث الهجوم فقتل من القرى الدرزية ألف رجل ، وسقطت المناطق الدرزية في يد الامير زيدان .

ظاهر العمر : وعندما توفي الامير زيدان عام ١٧١٧ خلفه ابنه عمر ثم ظاهر بن عمر الذى استولى على طبريا بمساعدة عرب الصفر ثم احتل عكا في عام ١٧٤٩ أو عام ١٧٥٠ .فبنى سورها بعدما كان مهدوما وحصنها ووضع فيها المدافع والذخائر . واستبد ظاهر العمر في البلاد وحكمها من صفد حتى العريش ولما توفي خلفه ابنه عمر الذى رفض ان يدفع للدولة العثمانية حقوقها فأرسلت له أحمد باشا الجزار من طرف والي مصر .

أحمد باشا الجزار : هو رجل بشناقي الاصل من بلاد البوسنه كانت نفسه تزوعه الى الاعمال الجليلة وتدليل الصعاب فبعثت به الحكومة الى مصر ليستأصل شوكة المماليك فاتبع سياسة القاء بدورالفساد والفتن بين المشايخ والامراء ففاز بأمنيته .

وفي سنة ١٧٧٠. أنيطت به المحافظة مدينة بيروت فحصنها ومنع اهل الجبل من دخولها وأزمع على العصيان ففطن لذلك الامير يوسف الشهابي فباغته وهم ان يبطش به فقاتله الجزار بالخضوع والطاعة واستمهله أربعين يوما ،

وحدثت بينه وبين علي بن ظاهر العمر وقعات خذل فيها علي وقتل وزالت امارة اهله واستحوذ الجزار على ما كانوا يملكون من المقاطعات واتخذ عكا عاصمة له وبنى عليها سورا ثانيا وجامعا كبيرا

ولما اشتدت الحرب بين أولاد عمر وبين أحمد باشا الجزار الذى كان رجل حرب وسياسة فاحتال على أحمد وعثمان اولاد عمر بن ظاهر وقبض عليهم وارسلهم الى اسطنبول وبعدما استولى على عكا شدد الحصار عليهم في شفا عمرو فأخذها بعد ثمانية أشهر توفي عمر خلالها وخرج ابن عمر وسكن في الجبال وأخذ يهاجم عكا فيقتل وينهب وقد روى عنه أنه ركب جواده ذات يوم ودخل على عسكر الجزار وكان عددهم ألف وخمسمايه ولما كشف اللثام عن فمه ــ وكان له شنب يعقده خلف رأسه ــ وعرفه عسكر الجزار فروا هاربين . وأخذ أحمد باشا الجزار يغرى في ضباطه حتى يعتقلوا علي بن عمر بن ظاهر واحتار في الامر فجمع الضباط واستشارهم في الامر ، فقال له احد الضباط : انا مستعد ان احضر علي بن عمر فقال له كيف تستطيع ذلك : فقال : اتظاهر العصيان على أفندينا وأغير على اطراف عكا فيسعى علي بن ظاهر فيضمني الى جيشه ثم احتال عليه واقتله . فقال له الجزار : لا اقبل ان تقتله اذا كنت تقدر ان تحتال عليه وتحضره حيا فقال الضابط : يا افندينا : انت تسمع بصولة علي بن عمر وشجاعته فاذا ما قدرت ان احضره لبين اياديك حيا فماذا افعل ؟ فقال له : احضره حيا او ميتا . فودع الضابط احمد باشا وخرج عن عكا بكامل جيشه وشن الغارة على اهالي ساحل عكا فخطف الفلاحين واخرج الجزار عسكرا يطاردون الضابط للتظاهر بأنه عصى على الجزار فوصل الخبر الي علي بن عمر فصار يترقب أخبار الضابط حتى تحققت أخباره فطلبه الى عنده واكرم منزله واخذ عليه العهد والمواثيق وكان الضابط يرسل عسكره ويشن الغارات على عكا ويحضر الغنايم ويلقي على منزل علي بن عمر وبعدما استقام نصف شهر أمر علي قائد جيشه بالذهاب الى مكان للغزو وبعدما انصرمت عسكره

Digitized by Birzeit University Library

بقي هو في المكان لانه كان معكر المزاج ، وقال للضابط الذى عمل المكيده امضي يا انما فلان الى الجهة الفلانيه فانصرف بكامل جيشه وخيله حتى توارى عن مكان الخيام ثم رجع بكامل خيله ولم ينتبه علي بن عمر حتى صار الضابط على باب خيمته فخرج يستخبر عن سبب رجوعه فسحب الضابط القرابينه واطلقها في صدر علي بن عمر فوقع يتخبط في دمه فأمر الضابط أحد العساكر بقطع رأسه وأخذه ورجع الى عكا بغنيمته فلما لقى على عكا ودخل على الجزار وقدم له رأس علي قال له : تفضل يا أفندينا فقال له أحمد باشا الجزار : عفارم أنما وانعم عليه وألبسه حلة ثمينة ، وقال له يا فلان انما كم سنة خدمت عند الامير علي بن عمر وأكلت من خبزه قال الضابط يا افندينا خدمت عنده خمسة وثلاثين سنة ، فلما سمع الجزار ذلك قال لاعوانه وكبار عساكره : هذا الدنس الذى خدم عند سيده خمسة وثلاثين سنة وأكل من عيشه وما احرى فيه كيف أنا الذى لم يأكل من عندى ولا يوم : اقطعوا رأس هذا الانسان ناكر الفضل والجميل وخائن العهد لانه خان سيده الذى خدم عنده خمسة وثلاثين سنة .

وبعد موت علي بن عمر تشتت الزيادنه واستتب حكم أحمد باشا الجزار حتى توفي سنة ١٨٠٤ .

× × × × ×

المصـــادر :

١ ــ عكا بين الماضي والحاضر ــ فايز الكردى صفحة ٦٦ ــ ٨٨
٢ ــ بلادنا فلسطين ــ مصطفى الدباغ صفحة ٦١٧
٣ ــ عكا وقراها ــ ناجي حبيب مخول ــ الاسوار عكا صفحة (٧٠)
٤ ــ تاريخ فلسطين ــ عمر الصالح البرغوثي صفحة ٢٣٤ ــ ٢٣٨
٥ ــ مخطوطة لموسى بن ناصر بن خليل من بيرزيت توفى عام ١٩٠٩
٦ ــ مخطوطة لشحادة الخورى ابراهيم من بيرزيت توفي عام ١٩٣٢

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

اليعسوب

فرج عبد الحسيب المالكي

كانت مرحه خفيفه الظل ، تحب كل الناس فأعطاها ذلك سمه تختلف عن أهل بيتها وطبقتها كلها ، لم تكن بقادره على الانانيه ، ولماذا على الانسان ان يكون انانيا ؟ هذه الحياه احقر من ان يعيشها الانسان لنفسه ، كانت دائما تقول ذلك في نفسها ولكنها ظلت تحتفظ بهذه التساؤلات بعيدا عن سخريه افراد عائلتها ، كانت تحب المطالعه وتحب المعرفه وكانت بكل ذلك فتاه تود ان تسبر اغوار نفسها ، طمأنينه ورخاء ، كانوا يحبون فيها براءة الطفوله والتمرد .

لم يكن التمرد يعني شيئا يوم كانت طفله ، اما اليوم وها هي تطرق ابواب الشباب بعنف فقد بدأ تمردها يخيف اباها ، فجعل يشيد بحنانه عليها كي تكف عن زياره المصنع والاختلاط بالعمال ، رفضت ، ثم جعل يحذرها من تلك الزيارات وان طبقتها الاجتماعيه لا تسمح لها بأى حال ان تختلط مع أولئك الرعاع ، قاومت وما انفكت تزور المصنع وعندما وجد ابوها ان لا طائلا وراء الكلام ، راح يهددها بالعقاب ، لم تتوقف عن زياره المصنع وعندما كانت تصعد درجات السلم وصرخ بها ابوها ـ اين كنت ..؟؟

توقفت وقد لمحت سيماء الغضب على وجه ابيها وأدركت ان لا مناص من المواجه ، قالت بصوتها الواثق

في المصنع ..

الم احذرك من الذهاب الى المصنع ، ماذا تريدين من المصنع .. المصنع للرجال للعمل . لا للزيارات . لم تنبس ببنت شفه وهمت بالصعود ، ولكن الصوت المتهدج . ارتفع مره أخرى .

ـ اسمعي .. لا اريدك ان تختلطي مع اولئك العمال انهم ...

ـ انهم طيبون

ـ انهم قذرون

ـ ابي ـ ابو علي ليس قذر .. أنه طيب .

ـ ذلك العجوز الوغد ... يحرض العمال ..

ـ ولكن ابنه استشهد . هو أب لشهيد .

ـ ابنه مخرب

ـ ابنه شهيد ... شهيد .

وقفزت على درجات السلم مسرعة ودلفت الى حجرتها ، احست بأن اباها ليس طيبا كما كانت تتصور ، وأن وراء تلك الابتسامات الدافئة أسنان بيضاء قوية ، تنهش القضيةبنهم متسلط ، لم تكن بقادرة على فهم كل جوانب الصورة وأبعادها .. لرعونتها .

(قال مخرب ، وابو علي يقول شهيد .. قراءت لها اختلاجات وجه أبو علي .. وذلك البريق العفوى بسطع في عينيه .. يوم حدثها عن ابنه الشهيد ـ كل أهل البلد كانوا يفخرون بعلي .. ابني ـ الا ابي ، ابي لا يفهم التضحية أبي لا يفهم معنى أن يؤمن الانسان بشيء في هذه الحياة ويكون مستعدا لفقد الحياة من اجل ذلك الشيء . أبي لا يفهم الا بعائدات المصنع وأرباحه ، لا يقيمه في حياته شيئا لهم كل شيء يريده لنفسه ـ أحست بأن ابو علي اكبر من عامل والعمال كلهم أطيب من ابيها ، ابوها الذى هو كاليعسوب . سألته يوما :ـ

ـ أبي ... لماذا لا تعمل ؟

قال وهو يقرأ صحيفة في يده وقد زم شفتيه على

Digitized by Birzeit University Library

غليونه

ـ لاني غني ... ولست بحاجة للعمل .

ـ ولماذا انت غني ...؟؟

ـ لاني املك مصنعا للبلاط . يضم اكثر من مئة عامل .

ـ هل تعلم أنك كاليعسوب ؟؟

ـ وما هو اليعسوب ؟

وقفه وشرعت الابنة المعلمة تشرح لابيها التلميذ

ـ هناك .. يا أبي .. في خلية النحل نوعين من النحل الاول يصنع العسل من رحيق الازهار والثاني يعيش عالة على الخلية ، وهي اليعاسيب التي هي ذكور النحل .

قال الاب وقد طرح الصحيفة جانبا :ـ

ـ اذن .. أنا كاليعسوب

ـ ولكن النحل العامل .. يقوم بطرد اليعاسيب خارج الخليه وقد يقذفه .. عندما يشح الغذاء . نهض الاب من مجلسه وربت بكفه على كتف ابنته وقال بصوت حذر ...

ـ دعك من هذه الترهات .

ـ ولكنها الحقيقة .

لم تكن بقادرة على فهم الاصره التي تربط بين خلية النحل والمجتمع الانساني ، اليعاسيب تمتص عرق النحلات العاملات .. وأباها يمتص عرق العمال ، ولكن العاملات تطرد اليعاسيب اذا شح الغذاء حتى النحل يرفض العالة ، بالوقت نفسه يفتخر بها ابي .

طفقت تبحث عن اشياء ، دارت تجلدها ولم تكن تعيها ولا تفهمها ، علي مخرب ام شهيد ؟ ما الفرق ؟ ابوها يعسوب ينتظر الجفاف كي يطرد من الخلية البشريه ، لم تكن بقادرة على مجرد التفكير ان اباها بتلك القذارة ، وانها ستكون يوما مثله يعسوبا . لا يمكن .. هي تحب ابو علي والعمال .. وتوءمن بأن علي شهيد وليس مخرب توقفت عن زيارة المصنع شهرا كاملا ، لم تعد بقادرة على النظر في عيون العمال وترقب حبيبات العرق تتفضد من ثنايا وجوههم . احست بأنها بذلك تتحول شيئا ـ فشيئا الى يعسوب تركت كتبها .. وهرعت الى المصنع .. هناك بحثت عن ابو علي فلم تجده .. سألت احد العمال فأخبرها أن ابو علي قد طرد من المصنع ، بعد ان هرست الالة نصف كفه ، أحست بأن اليعسوب بدأ يلتف حول عنقها . مخرجا من فمه زبدا ينتشر في انحاء الجسم تاركا قشعريرة تشبه الخوف من أشياء لا ترى في الظلمة ، هرعت الى بيت ابو علي وجدت الباب مواربا ، دفعته ودخلت الي بيت كثير الصدوع يتداعى الى السقوط ، كان ابو علي جالسا على كرسيه ، برقت عيناه .. ابتسم .. رحب بالفتاة وكذلك فعلت ام علي ، اقتربت منه .. ترقرقت في عينيها دمعة صافية وانحدرت دمعات حارة على خديها ، ضمها ابو علي بيده اليسرى الى صدره وبكى .. ولاذت ام علي بنشيج حار .

عادت الى البيت ، صعدت الدرجات الرخاميه بسرعة ودفعت الباب .. كان ابوها غارقا في اريكته الوثيرة ، وكانت الام تداعب طفلها الصغير ، وبصوت غاضب قالت الفتاة :ـ

ـ لماذا ... تأبى الا ان تكون مجرما ؟؟

ـ اخرسي .

ـ لقد طردت ابو علي

ـ لم يعد بقادر على العمل ـ ثم اني دفعت له تعويض

ـ كيف سيعيش ..؟

ـ ليذهب الى الجحيم

ـ عينه حارس للمصنع .. مراقب .. لقد خدمك عشر سنوات .. وبعدها تلقى به الى قارعة الطريق بدون عمل .

ـ ليس ذنبي .

ـ انت يعسوب .

توجه اليها محتدما ، وصفعها صفعة قوية ، سقطت الفتاة على الارض صارخه .

ـ لا تكن يعسوبا . لا تكن يعسوبا

وصافح وجهها وبر السجادة الحمراء الناعم ، احست ان دماء ابو علي قد سالت عليه ، فاكسته اللون الاحمر ، وشرعت ببكاء مرير ، وذرفت دموعا كانت قد تجمعت في مآقيها منذ دبت فيها الحياه .

Digitized by Birzeit University Library

رسالة باريس

أحمد عبد المعطي حجازي
من أحضان البعث العراقي إلى أحضان السادات

بقلم محمد عفيفي المنوفي

" فيما يلي رسالة وردت الى هيئة تحرير "الكاتب" من احد الصحفيين والكتاب المصريين الموجود خارج مصر ، يلقي فيها الضوء على نموذج من الكتاب والشعراء المصريين المتذبذبين في مواقفهم ، ونحن اذ ننشر هذه الرسالة نؤكد ان عدد هؤلاء لا يزيد على عدد اصابع اليد الواحدة ، ورغم اغتيال السادات ، فان ادراكنا لاهمية هذه القضية دفعنا الى اطلاع قرائنا عليها ."

كان المرحوم الشاعر صلاح عبد الصبور اكثر صدقا من الاخرين ، حين كان يعتبر نفسه مجرد شاعر لا علاقة له بالتكتيك السياسي ، في حين ان عبد المعطي حجازى ادعى ذات يوم انه شاعر سياسي من الطراز الاول ، بل شاعر يغني وناصرى معا .

لقد نشرت احدى المجلات العربية في باريس خبرًا يقول : ان احمد عبد المعطي حجازى ، عاد من باريس الى القاهرة ، حيث قابل أنور السادات نحو ساعتين ونصف ، وبعد خروجه من المقابلة أعلن عن ارتياحه للرئيس ووصف السادات بأنه رئيس منحضر وديمقراطي " وتقول المجلة العربية أن احمد حجازى أعيد الى عمله كمحرر في روز اليوسف براتب وقدره ٤١٦ جنيها وأضافت مجلة "المستقبل " ان حجازى طلب اجازة للعودة الى باريس لمدة عام حيث سينهي عقده كمدرس في احدى الجامعات .

وكان احمد عبد المعطي حجازى قبل استقراره في باريس قد عمل في العراق وظل يزور العراق بين الحين والاخر بدعوات رسمية من وزارة الاعلام العراقية ، ويقال ان النظام العراقي هو الذى ساعده في الحصول على عمل في احدى الجامعات الشعبية الفرنسية وظل طيلة وجوده في باريس مرتبطا بالمركز الثقافي العراقي هنا في

Digitized by Birzeit University Library

باريس . الى هنا والامور ليست غريبة اذا ما عرفنا ان حجازى كان عضوا في حزب البعث العراقي وبعد ذلك ظل مخلصا لهذا الانتماء .. حتى لو كان ذلك في ظل حمامات الدم التي يرتكبها النظام العراقي .

ولكن الغريب ان يرثي شاعر قومي معروف في احضان انور السادات ، والاغرب من ذلك ان حجازى يعترف انه التقى السادات ومع ذلك يحاول تبرير اللقاء بحجج واهية تدينه ، محاولا ان يجيب بطريقة " فهلوية " لا تقنع حتى الاغبياء .

وبطبيعة الحال ليست هذه اول مرة يسقط فيها شاعر مصري ولى تكون الاخيرة ولكن يظل التيار التقدمي المصري هو الاكثر تعبيرا عن جوهر مصر وشعب مصر من احمد فؤاد نجم والشيخ امام وزكي عمر ورفعت السعيد وحسين عبد الرازق وفريدة النقاش الى ميشيل كامل ومحمود امين العالم واحمد المصري وطاهر عبد الحكيم والطاهر احمد مكي .. وغيرهم من المناضلين الشرفاء حتى لو كانوا من تيارات سياسية مختلفة : ماركسية او ناصرية او وطنية ديمقراطية .

وحتى لا نتجنى على الشاعر الذى سقط وانتهى ، نقتطف اقوال حجازى نفسها المنشورة في مقابلته التبريرية في جريدة "السفير" البيروتية في عددها الصادر يوم ١٩٨١/٩/٢٦ التي اجرتها حميدة نعنع مراسلة السفير في باريس ، اى بعد الاجراءات القمعية الجنونية التي اتخذها السادات .

١ – يقول عبد المعطي حجازى :

" مما لا شك فيه انني استنكر الفكرة الطائفية والتعصب الذميم " . "ولي اعتراضات كذلك على بعض الاساليب التي اتبعتها المعارضة" .

نقول لمصلحة من يدلي حجازى باقواله هذه حتى لو كان كلامه صحيحا . الا يهدف هذا الكلام في هذا الوقت تبرير ضرب السادات للمعارضة وللتيار الديني تحت ستار محاربة "الفتنة الطائفية" . وهل سجن اليساريين والديمقراطيين يدخل ضمن "الطائفية والتعصب الذميم" .

٢ – يقول حجازى :

" ان المعارضة المصرية في الخارج تعيش اوضاعا سيئة وبطبيعة الاحوال فان الحكومة في مصر تتدد بها وتقذفها بتهم كثيرة ، ولكن الظروف التي يعيش فيها المصريون تساعد على تصديق شيء من هذا ، ونادرا ما يصل صوتها الى الداخل والناس الذين يعيشون في ظروف صعبة جدا يمكنهم ان يصدقوا ان من يعيش في باريس وطرابلس ولندن ينقلب في النعيم . ان رجلا مثلي لا يبكي على الحياة في باريس او على منصبه الجامعي وأجره العالي ، بل يبكي على الدور الذى يمكن ان يلعبه في بلده " .

طبعا لا يذكر حجازى انه يتقاضى راتبا من السفارة العراقية في باريس ، ويحاول ان يطعمنا كلاما جميلا معسولا بالحديث عن الدور الذى يمكن ان يلعبه في مصر . وهل من يقابل السادات يمكن ان يلعب دورا غير ما يريده له النظام الساداتي .

٣ – يقول حجازى ان الشخص الذى نشر عنه الخبر هو "يعمل في الصحف الحكومية المصرية وهو يعمل ايضا في الصحف العربية المختلفة في البلاد العربية واوروبا . وهو في ذات الوقت "عضو في حزب التجمع الوطني " الذى يرأسه خالد محي الدين " .

بطبيعة الحال لا يهمنا من فضح سر مقابلة حجازى مع السادات ، رغم ان اخبار باريس هنا تشير للكاتب التقدمي المصري جمال الغيطاني ، ولكن ما الغريب في هذا والمقابلة حدثت بالفعل وحجازى نفسه يعترف بذلك .

٤ – يقول حجازى :

" المقابلة مع السادات حدثت ، ولكنها حدثت بطلب من رئاسة الجمهورية ، ولو كنت انا الذى طلب المقابلة لطلبتها منذ سنوات " انظروا الى التبرير الواهي وكأن القارئ مهتم جدا بمسألة من طلب المقابلة السادات ام حجازى .

ويستمر حجازى في القول : " انا لا اجد اى غبار في ان اقوم بمقابلة رئيس جمهورية بلادى ، حدثت المقابلة في ٣ أيلول ١٩٨١ ، فلماذا تقوم الضجة . لان شاعراً قد قابل رئيس جمهورية بلاده ؟"

يا سلام يا حجازى ، هل هذا كلام ، هل عرفت أن أراغون قابل الالمان الفاشست ، هل عرفت

Digitized by Birzeit University Library

آن بابلو نيرودا قابل بينوتشيت ، ماذا كان يمكن ان يحدث لو فعل هؤلاء الشعراء العظام ذلك ، ثم هل هي عقدة تقليد كتاب امريكا اللاتينية حين يقابلون فعلا رؤسائهم ولكن الى السجن ، ثم لماذا عقدة النقص والاستعراضية : هل مقابلة امور السادات مسألة صعبه اولا وهل اللقاء معه شيء مهم ، بمعنى ان حجازى ـ لم يصدق نفسه ـ انه يقابل رئيس جمهورية ومتى في نفس الشهر الذى اعتقل السادات فيه الوطنيين المصريين وزج بهم في السجون . أى ان حجازى يطعم نفسه "جوزا فارغا " . لقد قابل اخانا رئيس الجمهورية دون ان يحدد حجازى من هو وما هي صفات هذا الرئيس . مطربوا الملاهي في شارع الهرم قابلوا السيد الرئيس ، هل هي فخر ام رذيلة ايدية .

٥ ـ مراسلة جريدة السفير في باريس تسأل حجازى : جاءنا في الخبر الذى نشرته "المستقبل " انك عينت محررا ممتازا في روز اليوسف بمرتب ٤١٦ جنيها بعد مقابلتك للسادات ؟

يجيب حجازى : " هذا كذب . ان حقيقة المرتب هو ٢٠٠ جنيه وليس ٤١٦ جنيها كما يدعي عضو حزب التجمع . لقد عدت الى باريس باجازة لمدة سنة بدون راتب وليس كما يدعي عضو حزب التجمع من انني عدت الى باريس باجازة مع راتب

. وبدلا من ان يقال ان حجازى قام بتضحيه من اجل بلاده يقال أنه ذهب ليعمل مساومات . ان اعز شيء علي هو نزاهتي " تصوروا ايضا البجاحة ، حجازى زعلان لان الخبر

لم يحدد راتبه بدقة وكان المسألة هي ان راتبه ٤١٦ جنيها ام ٢٠٠ جنيه ، متناسيا جوهر المسألة بفهلوة لا تنطلي على احد ، وهو انه يعترف انه الان " موظف رسمي في اعلام النظام" في حين ان المعارضة التي لا يتفق حجازى معها تذهب الى السجن . لقد "آبكانا" حجازى كثيرا واضحكنا أكثر على "نزاهته " .

٦ ـ مراسلة السفير تسأله :

ماذا دار بينك وبين السادات في المقابلة معه" يجيب حجازى بوقاحة واستغباء لنا جميعا بقوله بالحرف : "هي مقابلة لها طابع شخصي . وهذا الطابع يجعلني احترج من اعطاء تفصيل ما دار فيها . انه من حقي ان لا اقول وساحتفظ بهذا الحق " .

٧ ـ المراسلة تسأل حجازى : ذكر انك عبرت لاصدقائك الذين التقوا بك بعد المقابلة مع السادات ـ عن ارتياحك ووصفت الرئيس السادات بالتحضر والديمقراطية ؟ .

يقول حجازى " بعد خروجي من عند الرئيس السادات تكلمت مع اصدقائي عن نوع الاحترام واللطف والترحيب الذى قابلني به السادات . ولا بد من التفرقة بين كلامي عن طريقته اللطيفة والترحيب بي وبروجي مع زوجته السيدة جيهان وبين الكلام عن الموقف السياسي " .

الى آخر المقابلة ....

هنا نقلت بالحرف بعض ما قاله حجازى لجريدة السفير الصادرة في ١٩٨١/٩/٢٦ اى بعد مقابلته للسادات في الشهر الذى دخل فيه الالاف من ابناء الشعب المصرى العظيم الى السجون . يبقى ان نوضح بعض النقاط في سقوط حجازى :

١ ـ لم يكن سقوط حجازى مفاجئا ولا ينبغي ان يثير استغرابنا ودهشتنا ، لان احمد عبد المعطي حجازى عمل وما زال يعمل مع نظام صدام حسين ومع هذا لم يدهش احد في حينه . لانه يريد ذلك . وهذا يذكرنا بمن كان يسمى نفسه بالكاتب التقدمي المصرى امير اسكندر الذى كتب كتابه الشهير " صدام حسين ، مناضلا وانسانا ومفكرا" ليبرر ذبح شعبنا في العراق ليس غريبا على حجازى ـ البعثي العراقي وكثيرون لا يعرفون هذه الحقيقة ، ان يرتمي من حضن صدام حسين الى حضن انور السادات ، مهما غلف نفسه بالشعارات القومنجية .

٢ ـ لقد قابل احمد حجازى في باريس قبل شهور السيد صلاح جلال نقيب الصحفيين المصريين الساداتي . وقد طلب الاخير من حجازى العودة فلبى حجازى دعوة نقيب الصحفيين الساداتي ، وهو الذى أوصله للقاء أنور السادات ، هذه الحقيقة أكدها الوطنيون المصريون في داخل مصر نفسها .

٣ ـ عندما مات الشاعر صلاح عبد الصبور ، نشر

Digitized by Birzeit University Library

خبر موت عبد الصبور مع ورود اسم حجازي في الخبر حيث مات عبد الصبور وهو في بيت حجازي في القاهرة . ولم ينتبه القراء لوجود حجازي في مصر وهو الذي يعيش في باريس بسبب اهتمامهم الاساسي بموت عبد الصبور ، ولكن الذين عرفوا بوجود حجازي في القاهرة آنذاك لم يصدقوا .

٤ ـ أما حديث حجازي عن نضاله من اجل الوحدة والحرية والاشتراكية وفلسطين ، فهذا امر من امور الماضي ، كميل شمعون وبيار الجميل يقولون انهم "ناضلوا" في الماضي من اجل فلسطين . عبد الوهاب البياتي الذي ناضل من اجل شعب العراق في الماضي هو الان مستشار صدام حسين ، فهل انه "كان وكان وكان" تلغي كونه يقف الان مع الفاشست . لانه اذا سقط المناضل في هاوية السوء فانه يكون بذلك قد مسح كل حسناته السابقة هذا اذا كان لحجازي حسنات ونضاله من اجل الوحدة والحرية والاشتراكية والبعث ..الى غير ذلك من المقولات الكبيرة . هل نحن حزانى ؟ اعتقد ذلك ، ولكن هناك من اخطأوا في حياتهم خطأ قاتلا كهذا ولكن كانت لديهم الرغبة في نقد انفسهم فتراجعوا واصبحوا اناسا صالحين . اصلح الله شاعرنا الميت . هذه هي الحقيقة الكاملة حول ما فعله حجازي و " جنت على نفسها براقش " .

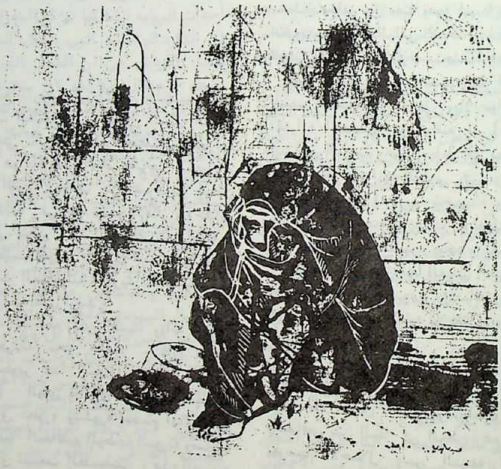

Digitized by Birzeit University Library

قراءة «للصبار»

عطا القيري

سجن الرملة

ان من يتبع تاريخ تطور الادب والتعبير الفني لدى الشعب الفلسطيني يجد ان الشكل السائد للتعبير الفني نظرا للاوضاع المتقلبة والتطورات السريعة ، هو بالاساس الشعر والزجل الشعبي ، ذلك لان الشعر يختلف عن غيره من وسائل التعبير الادبية في انه يكثف الافكار والاحداث والمشاعر في سطور تلهب العاطفة وتثير الحماس وذاك ما تطلبته ظروف النضال المستمر والقاسية ضد مخططات الصهيونية لتشريد شعبنا وتجريده من ارضه وكرامته على ارضه .

والان ، اذ تقع بين ايدينا روايه الصبار للكاتبه الجريئه سحر خليفه ، فان ضروره الاهتمام بتطوير هذا المجال التعبيرى(الشكل الروائي) الذى ما زال في عهد الطفولة وتسهيل طرق تطوره وتبلوره ليصبح اداه فعليه تسهم في اغناء المفاهيم الوطنية الثورية ومسايره الركب الثورى للشعب الفلسطيني ، هذه الضروره تفرض علينا معاينتها بالنقد منطلقين من حرصنا على رعاية هذا المجال واحتضانه .

ومن جهة اخرى ، فان حرصنا على ان لا يعمنا الاهتمام الزائد والمبالغ فيه الذى يوليه النقد العربي لكل كلمة تكتب في الارض المحتله لدرجه اعلائه عن النقد وتضخيم اهميته وكفاءته ، يجعلنا نخاف من مغبة وقوع ادبنا في مستنقعات الغرور والترفع وبالتالي الانحدار ، لان ادبا يصل النقد لوصفه بالكامل سيتخلف حتما وينهار .

في روايه الصبار تصور لنا الكاتبه مأساه الشعب الفلسطيني بعمق وبلا مواربه ، مأساه اغترابه الجسدى عن وطنه اذ انه مشرد في البلدان العربيه وحيث يعامل في بعضها كالمطارد ، ومأساه اغترابه النفسي في وطنه اذ ترى الاحتلال يعمل لتجريد شخصيته من انسانيتها وليجعل منه مجموعة عمال وشغيلة تعمل براغ في آله الاستعمار الكبيره وتخدم مصالحها ، تصور الازدواجية التي يعايشها العربي الذى يعيش في ظل الاحتلال الصهيوني والتناقض الذى ينهش صوره بين عروبته ورفضه للاحتلال من جهه وبين الضرورة الملحة للحياة المعيشيه اليومية وضرورة اطعام افواه لا تكف عن التزايد ، تلك الضرورة التي تدفعه الى الانخراط في سلك العمل لبناء قوة العدو وجبروته ، والتناقض بين البقاء في الوطن رغم المذلة التي يفرضها الاحتلال وبين النزعة الى الهجره والراحة الذاتية للفرد التي يغذيها الاحتلال ويدفع الناس اليها بشتى الوسائل . هذا هو " الاحساس بالغربة والاحباط الذى يدثر كل الناس

Digitized by Birzeit University Library

الذى تتكلم عنه الكاتبه . ان الشعب الفلسطيني يعايش يوميا الخوف من المجهول والقمع الاستعمارى المتوقع الذى يغمر افئده الناس جميعهم والذى يرتسم على وجوههم القلقه . وقد نجحت الكاتبه في نقل صوره جليه عن هذا القلق ، فهي تقول على لسان احد شخصياتها ابو محمد : " ويا خوفي يعمل عمله وينشفوا الدار واحد الرجال في المقهى يقول : "فلان هبط ، كلمة هبط "وتعني فيها اصبح عاجزا" تطن في الاذن كالطبل وتعني اكثر من الموت . اكثر من الاحتلال قطاطيم لحم مين يربيهم " . لكنها تصور بالمقابل ايضا الصمود والثبات الذى يقذفه الشعب بوجه المستعمر بابداع درامي حين تصور رد فعل طفل السادسة على مطاردة الجنود ليهم يوم منع التجول فتقول : " ووقف طفل في السادسة وفتح بنطلونه الكالح وصوب عمامته نحو الجنود معتمدامبدأ الدفاع عن النفس". انها تصور الصمود ومعاندة الاحتلال ومواجهة تعذيبه وسجونه بجلد لا يقهر ، مواجهة نسفه للدور بالزغاريد والتكابير ، والى جانب وصفها للعقلية المتخلفة اليومية الاستسلامية للناس : "الكف لا يناطح مخرزا" كما يقول احدهم ، تلمح الزهره التي تتفتح في عقول الشعب عن طريق وعي جيله الصاعد لاوضاعه البائسة المذله ومحاولته العمل وتجاوز اطر الممارسات الكلامية التي تاجر بها العرب لسنين طويلة دون جدوى فنرى باسل (الاب المتحمس) يرد بانفعال على البقال الذى اعتبر المتاجره بالكلام خاسره بقوله .. "نحن لا نتكلم فقط" . وكذلك تلمح الوعي الذى انضمته ظروف الاحتلال لدى العمال لواقع الاستغلال الذى مارسته البرجوازيه الوطنية ضد قبل الاحتلال وكفرهم بالاضاليل التي تبثها البرجوازيه "والخدمه الوطنية" التي تطالبهم بها لتخفيض اجرتهم بينما كروشها تزداد انتفاخا واموال الصمود تملأ جيوبها .

فضلا عن ذلك استطاعت الكاتبه عكس التطور الاجتماعي الذى حصل باسراع من الاحتلال لتحطيم العلاقات الاجتماعيه البالية ، والتمرد عليها ونضوج الوعي الجماهيرى الاجتماعي لان الاحتلال هو ، بسجونه وقمعه ونسفه للبيوت ومطاردته للشعب المتظاهر والمجتمع ، مدرسة يتعلم فيها الشعب وينضج وعيه ، وتتساءل الكاتبه هنا بحذق على لسان احدهم : "ولنحذر اسرائيل من فعلتها . فعلى نفسها جنت براقش . اصبحت سجونها مزارع رؤوس بدلا من ان تكون مدافن كتيوشا وسيصعب على التاريخ اطلاق حكمه الاحتلال كان نقمة او نعمه ؟ هذا هو السؤال العويص" فعلا للاحتلال دوره في انماء الوعي الاجتماعي وتبلور الوعي القومي لدى الجماهير الشعبيه .

لقد استطاعت الكاتبه ان تنقل بامانه صوره اصيله للحياه اليوميه لشعب يرزح تحت الاحتلال ، وفي نفس الوقت يصارع ظروفه ويشق طريقه لنيل لقمة عيش يسد بها رمقه ورمق اطفاله ، وذلك بتصويرها العقليه الشعبيه وطرق تفكيرها وينجوؤها ذكر انواع الشتائم السوقيه بلا تأفف ناقله بذلك القارئ الى الجو الاصيل الذى تدور احداث الروايه تماما كما تؤكد الشعراوى .

ان الفكره الرئيسيه التي تشكل العمود الفقرى للبناء الروائي هي ان العمال الذين اضطرتهم ظروف الاحتلال القاسيه لان ينخرطوا في سلك العمل للاقتصاد الاسرائيلي ليقوا انفسهم من شر التشرد والمجاعة ليسوا عملاء وليسوا خونه القضية الوطنية التي تاجر بها الزعماء العرب طويلا واشبعونا كلاما وهذرا فارغا بصددها ، وانهم سيلعبون دورا عظيما في التطور الاجتماعي الثورى في المستقبل اذ يحتلون مكانه قياديه أولى في الصراع الطبقي بين العمل والرأسمال على صعيد اسرائيل الى جانب العمال اليهود المضللين والمستغلين من قبل المصالح العليا للرأسمال اليهودى الكبير ، ويلعب عادل العامل هذا الدور ليس فقط بآرائه بل باصراره على متابعة قضية التعويض لابي صابر وايمانه بامكانية تحقيق ذلك . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى تقف فكره هي ان الثوره الفلسطنية (التي حسبت علينا ثوره كما يقول أحد ابطال الروايه اسامه الذى يمثل شخصية الفدائي القادم من الضفه الشرقيه لتنفيذ عمليات فدائيه في جواره الداخلي بعد ان كشف عدم استطاعة الثوره تغطية الساحة وانقاد الجماهير من مذلة الاستسلام والخضوع

Digitized by Birzeit University Library

للاحتلال) ، ان الثوره ، ان تمارس مختلف انواع الارهاب والعنف ضد العمال الذين يعملون في مصانع اسرائيل "مصابه بعدم وضوح في الرؤيه" لانها لم تسمع ولم تر " ان للصوره اكثر من بعد " . كما قال عادل الكرمي ممثل الشخصيه

العماليه التي تمثل البعد الطبقي للصراع في المنطقه والتي تؤمن بأن شلومو العامل اليهودى اقرب اليها من صاحب المعصره العربي وتؤمن بالحريه والاخاء والسلام وشلومو الضحيه وتتنبأ بدور العمال اذ تقول (ودورى ليس اقل من الادوار الاخرى حتى ولو لم يفهم الاغنياء) والثوره مصابه بعدم وضوح في الرؤيه لانها لا تفهم الامور الا بصوره وحيده الجانب ومن بعد واحد هو بعد الهزيمه والاحتلال وليس غير كما يعبر عن ذلك اسامه هذه احدى الزوايا الاساسيه التي تنظر الى الروايه منها زاويه انها بمثابه وثيقه ادبيه تاريخيه عميقه من المآسي والغبن الذى يعانيه شعبنا في ظل الاحتلال ، ورغم عدم توافقنا مع الكاتبه في كثيرمن القضايا ورغم العديد من التواقص في الروايه ، الا اننا لا نتجاهل مكانه الروايه في الادب الفلسطيني ، ودورها في اعطاء صوره عن الحياه اليوميه في الداخل بكل ما فيها من تناقضات ..... وتفاهات وتحديات .

لقد اتخذ ت الكاتبه من الاسلوب التصويرى كاساس لتقيم عليه صرح بناء روايتها الدرامي وقد استعانت حتى لا تجعل من الروايه مجرد وصف ونقل لا روح فيهما ، استعانت بالبعد النفسي الذى يتمثل بالصراع النفسي الذى يختلج في صدور ابطالها والتناقضات الداخليه التي تتنازع شخصياتها والتي تتخذ صوره الحوار الداخلي (المنولوج) لتلك الشخصيات . لقد ارادت سحر خليفه انتقاد اسلوب التصدى للعمال العرب الذين يعملون في اسرائيل وممارسه ضدهم اشكال الارهاب والعنف الذى اتبعته الثوره في لحظه من اللحظات وذلك بتبرير العمل بكافه الحجج . وقد نجحت الى حد ما في تصوير الضائقه الاقتصاديه العميقه التي مرت بها الطبقات الكادحه بعيد الاحتلال مما دفعها جبرا لسلوك هذا السبيل خاصه وان الوضع الاقتصادى القائم الذى خلفه النظام الهاشمي لم يكن ليوفر الحد الادنى من مراكز التشغيل للعمال اضافه الى ان البرجوازيه العربيه لم تخطو ايه خطوه في سبيل المساهمه بتضيع الضفه لايجاد بديل للعمال عن عملهم في اسرائيل ، وان كان ما فعلته هو حشو جيوب بعض الوجاهات والشخصيات باموال الصمود .

الا ان الكاتبه في معرض طرحها لافكارها ضمن الاطار الروائي دفعها التطرف في الطرح الى الوقوع في مزالق فكريه وفنيه لم تحذرهما مسبقا مما اضعف البناء العام للروايه وستتطرق هنا الي بعض من هذه الاخطاء

عندما ارادت الكاتبه انتقاد الثوره على استعمالها اساليب الارهاب والعنف ضد العمال عملت بكل الوسائل على شحذ الحجج والتبريرات للقبول بالعمل على اعتبار انه واقع فرض علينا ، ولا سبيل الى الخلاص منه الا بخلاص الاحتلال او بايجاد البديل للعمل اى بتصنيع الضفه مثلا ولانه ايضا بديل للهجره فبقاء الانسان في وطنه رغم اهانات وغطرسات العدو وممارساته العنصريه والقبول بتسخير الذات لبناء دولته اهون واشرف واكثر صمودا من هجر الوطن حتى هنا نقول ان الكاتبه الى حد ما محقه وليس ثمه ما يبرر اساليب العنف طالما ان الثوره لم تستطع تغطية الساحة بعملها الثورى وطالما لم يوجد بديل معيشي للعمل ، ولكن هذه القاعده ليست مطلقه فمثلا في غزه كان المجال الاقتصادى لعمل العمال في نفس اماكنهم متوفرا اكثر بكثير منه في الضفه نظرا بطبيعه التركيبه الاقتصاديه واتساع النشاط الزراعي . وفي نفس الوقت ، كانت الثوره قد استطاعت ايجاد قواعد ثابته لها وقويه بين الجماهير واصبحت قادره على مناطحة جيش العدو وتكبيده خسائر فادحه . ومن هنا لم يكن ثمه اية حاجة اقتصاديه تدفع الناس للعمل في مصانع العدو سوى التطلع الى مستوى معيشي اعلى والانجرار وراء الاغراءات الماديه للعدو ، ومن السذاجه والطيبه المفتعله او التعصب الغير واعي "للجماهير" ان ننكر على الثوره منع هؤلاء العمال من الانجرار وراء المغريات والوقوع في مصائد العدو .لكن يجب على ايه عمليه

Digitized by Birzeit University Library

عميقة ان تأتي تتويجا لجهود دعاويه وتربويه عميقه تشرح خطوره العمل في مصانع العدو اذ انه

يتيح للعامل اليهودي ان ينخرط في سلك "جيش الدفاع" فيوطد الاستعمار والاضطهاد ضد شعبنا . وبعد ذلك يصبح العنف والارهاب مشروعين . اما اذا لم تتوفر هذه الشروط فيصبح اى عمل كهذا مجرد اندفاع عاطفي لا يعي ابعاد المشكله بكاملها كما تؤكد الكاتبه حقا . ولا انفي حصول ذلك في حالات عديده . اذن اين المنزلق في الروايه . المنزلق يكمن من جهة من ان الكاتبه نرفض مطلقا اى اسلوب ثوري لردع من تسول له نفسه مساعده العدو بالعمل في مصانعه اذا لم يتوفر مبرر منطقي وقوى لذلك . وفي المثال الذى تطرحه الكاتبه في روايتها يظهر لنا ان العمال الذين تركوا مزرعه بيت الكرمي وتوجهوا للعمل في اسرائيل لم تكن دوافعهم الحاجه بل الطمع والطموح للصعود على السلم الطبقي الاجتماعي وهذه المجموعه يمثلها شحاده . وقد رأينا اية نتائج سلبيه لحقت بالارض من جراء ذلك . اما بعد حرب اكتوبر واثنائها ، فقد رجع بعض العمال ليزاولوا عملهم في اراضيهم ويعيدوا احياءها الامر الذى كان بامكانهم عمله من قبل لولا انجرافهم وراء الاغراءات . والذى يظهر ان الكاتبه في دفاعها عن العمال تنزلق الى العاطفيه والطبيه المجرده عن المفهوم الثوري والمنخلفه عن فكرة تصعيد الكفاح المسلح الشعبي لنيل التحرير ، هو ان عادل ، ممثل فكرتها الرئيسي يقف في صف شحاده وردا على اسامه حين سأله اذا ما اصبح متليهم "اى مثل شحاده وامثاله" يقول : "بل واحدا منهم ، اظن ان هذا يخجلك اكثر مما يغضبك" . وهذا يعني ان الكاتبه تتعاطف مع شحاده رغم انه من النوعيه الواجب ردعها اولا بالامتناع والدعابه ومن ثم الارهاب لمنعها من الاستمرار في منزلقها . ففي مثالها المطروح في الروايه كان بامكان شحاده ان يعمل في مزرعه الكرمي وكان بامكان بائع الخبز ان يبيع خبزا عربيا ولولا انه يوجد خبز عربيّ فعلا لما اشار له احد المارّه بأن يبيع منه اذا ، فالكاتبه لا تدافع عن العمال الذين اضطروا للعمل فقط "وهنا يكون دفاعها مشروعا وصحيح" بل عن العمال الذين يريدون الاستزاده والشموخ على حساب الوطن ولا يعني العمال ايضا من ضروره الامتناع عن العمل اذا توفر مصدر اخر مشرق ، لا يعفيهم تشدق البرجوازيه الوطنيه "بالخدمه الوطنية" بينما هي اول من تعامل مع العدو ورضخ مصلحيا لمخططاته فهذا هو وضعها ودورها ، انها قد افلست تاريخيا لكن العمال هم الطليعه وهم فعلا الوطنيون الى ابعد حد وعلى الكاتبه ان تصورهم روائيا هكذا .

ومن جهة اخرى ، لم تكتف الكاتبه بتوجيه النقد البناء الهادف للثوره اذا كانت غير مقتنعه فعلا باسلوب من اساليبها ، بل تطاولت الى درجه مسخ صورتها والاستخفاف بالافكار الثوريه التي تطرحها ، وتقديم هذه الافكار بشكل مشوه على السنة شخصيات تمثل الثوره في الروايه هي بحد ذاتها مشوهه ، فاسامه الكرمي الفدائي القادم من الخارج لمهمات ثوريه في الداخل هو شخصيه رومانسيه برجوازيه صغيره ضيقه الافق لا ترى من الامور الا اوجهها الظاهره ، والكاتبه بذلك لم تتوصل الى سبر غور افتده ممارسي الاعمال العنيفة ضد العمال بل قلصت الثوره بتقليصها الشخصيه الممثله لها في الروايه الى حد الطيش وضيق الافق والرومانسيه ، فترى اسامه عندما يعد عليه ابو محمد سيجارة كنت يرد عليه بتأفف وثوريه متصنعه : " لا ادخن سجائر امبرياليه" ويرى اسامه تلك الشخصيه الهشه التي تفقد ثقتها في كل شيء بمجرد رؤية مظاهر ثانويه مثل تدخين الناس للسجائر الاسرائيليه واهتمام السائق واحد ركابه بامور الحياه اليوميه الفارغه واستعطاف امرأة لرجل الجمارك ، فينفعل ويصاب بخيبه امل تدفعه الى يأس وجمود بدل ان يتخذ من هذه المظاهره علائم لبرنامج عمل له بين الجماهير لتنويرها وتثقيفها . وهنا تصف الكاتبه حالته النفسيه بقولها : "كيف يهدأ القلب الموجع مراجل الغضب تغلي في شتى بقاع الارض وهذه الارض تموت من شدة الصقيع . الارض ، جريمة ثمن مرتكبوها والشعب خدعة ، مقلب شربناه . جريمه تجرعناها وحسبت علينا قضيه وحسبت علينا ثوره . اليد الواحده لا تصفق . وانا واحد . انا واحد " . يا لها من عطسة ويأس وغرور .

Digitized by Birzeit University Library

لقد صورت لنا الكاتبه شخصية اسامه كشخصيه غير اجتماعيه ، متزمته ، متعاليه فهو لم يستطع الانخراط بين الجماهير او تفهيمهم وتفهم اوضاعهم البائسة ، بل انه عندما اجتمع بالعامل زهدى بدأ الاخير يتكلم براحه وانطلاق عن اماله ومشاعره بينما عزيزتنا الكاتبه ارتأت ان لا يتهتم اسامه بأقواله وان يظهر في النهاية انه لم يكن يستمع الى ما يقوله محدثه ، فيقول زهدى عندما تكتشف ذلك : " لست اول انسان يفعل هذا . بسيطه نحن نتكلم والاخرون يهزون رؤوسهم ولا يسمعون " . ونرى اسماء يدير وجهه اشمئزازا عندما يصف زهدى كيف تقطعت اصابع ابي صابر وقد رد عليه عادل وزهدى بنظره اشمئزاز مماثله مما يد ل علي عدم توفر اللياقة الاجتماعيه لدى هذا "الناثر" وعلى الاستهداف المقصود من الكاتبه لتشويه صورته قصدا . اما عندما تثار مسألة اذا ما ستنشب حرب فيطرح اسامه فكره ضرورة الاعتماد على الناس في الداخل ولكنه لا يستطيع الدفاع عن فكرته او النجاح في ايصالها لاذهان سامعيه بصوره مقنعه ، بل بدلا من ذلك يقف بعد ان يؤكد له زهدى بخطبة جعلتها الكاتبه طويله لترفض فكره اسامه ، يقف محتدا ليترك الجماعه ويعلن افلاسه .

هذه هي النفسيه والعقليه التي يطالعنا بها اسامه المكلف باعمال ثوريه كبيره ويعتبر نفسه ثوريا محترفا . ماذا نأمل من شخصيه كهذه اهذا تصوير صادق للثوره واعمالها ؟ لا اظن ذلك رغم وجود كثير من الاشارات والايحاءات في الروايه يدل على تعاطف الكتابه مع العمل الثوري والنشاط الفدائي المسلح . الا انها بشكل عام قد مسخت الثوره واعطت صوره مجمعه اهده شخصيه يمكن القارئ ان يتخذها مثالا يحتذى وتدفع الناس للانخراط بالعمل الثوري ؟ ام على العكس ؟ انها شخصيه مكتوب على جبينها (اقرف كني ولا تحذو حذوى ابدا) هذه هي احدى الشخصيات التي تمثل الثوره ورأينا كيف قدمتها الكاتبه لنا بصوره تجحف فيها بحق الثوره . ولكننا يمكننا الى حد ما اذا نظرنا من وجهه نظرها كرافضه لضرب العمال ان نبرر لها تشكيل شخصيه اسامه على هذا النحو لتضع امام القارئ ما نعتقد انه الخلفيه النفسيه والفكريه لعمل كهذا . ولكننا لن نبرر لها اطلاقا التشويه الذى تلحقه بصوره الثوره عن طريق تقديم شخصيه سلبيه اخرى هي شخصيه عادل الفدائي الاسير لكون هذه الشخصيه ليست مرتبطه بضرب العمال بل هي تمثيل للثوره ضد الاحتلال الصهيوني . ان عادل الاسير في الروايه (وأظن انها اسمته عادل لتدفع القارئ لاجراء مقارنه بين العادلين) هو شخصيه متعجرفه متعاليه يطرح الافكار الثوريه بجمود ولا يحترمه زملاؤه الا رهبة منه لا اقتناعا بفكرة وهو تجسيد للشخصيه الفرديه المتسلطه الباردة . وقد استطاع زهدى مقارنه العادين واكتشاف برودة قلب عادل الاسير وانعزاليته . والواقع ان الكاتبه ادخلت رأيها بعادل من خلال الحوار الداخلي لزهدى حين يقول لنفسه : "عادل هذا لا يحمل قلب عادل ذاك ، صحيح انه يقول كلاما مشابها لما يقوله عادل الاول . لكنه مشغول عن الناس بكتبه . وكيف ينقد القلب بدفء الحنان اذا لم يحتك بحراره الحياه " ويقول زهدى ايضا مكتشفا فرديه وتسلطيه عادل ، يقول بعمق اضفاه تدخل افكار الكاتبه بشخصية روايتها عندما يصف عادل متفلسفا : "وعادل يتربع على قمة غرفه ٢٣ ويدعي بأنه ضمير الثوره . لكنه بارد القلب يا عالم ويا خوفي ان يصبح كبقية الحكام هو بأمر ونحن ننفذ وبعيد التاريخ نفسه منحنا اسماء حسنى براقه . ديمقراطيه . اشتراكيه . بروليناريه ثم يرفع ستالين منجله ويحصد الملايين والجماهير تهتف وتصفق لرب العزه والقدره . .." وبأسل ايضا يصف عادل الاسير وجماعته بأنهم لا يعرفون الثوره الحقيقيه بل يعرفونها من الكتب

ان عادل الاسير هو ايضا لا يستطيع تقديم الافكار الثوريه بصوره سلسه مقبوله ، بل نرى زهدى يصف ندواته المسائيه بأنها تفسر الامور "بشكل يصعب على الممغوصين فهمه" ونراه يفضل ملعقة من زيت الخروع عن كل ما في رأس عادل من تفسرات واصطلاحات . وابو سالم يهمس في اذن زهدى تعليقا على اشتراكية عادل : " يلاحقنا

Digitized by Birzeit University Library

بالاشتراكيه والرأسماليه حتى في اكل المسخن ".
ان ما يؤكد استهداف الكاتبه لتصوير ممثلي الثوره بصوره خاطئة مبتوره ليس فقط تدخلها في افكار شخصياتها بشكل مكشوف مصطنع بل بتعليقاتها الجانبية . فعندما يقول السوري طالب امراته بتسميه ابنه نضال ، تكتب : "ردد عادل بتجهم ــ نضال الطبقـــات المسحوقة" وتعلق بعد ذلك : "ولم يستمع اليه حد . كان الثلاثة مشغولين عنه وعن تفسيراته بذكرياتهم السعيدة البعيدة."

ان التشويه لا يقف عند هذا الحد بل يتسع ليقع ايضا على الافكار الثوريه ذاتها . ففي كل مناقشة وحوار نرى الافكار الثوريه هي التي تتهزم امام "الواقع" الذي تبدعه لنا الكاتبه بكل ثمن ولتضع العراقيل والتبريرات لعدم جواز او امكانية تطبيق هذه الافكار . واحيانا تصل الى حد الاستهزاء بالافكار والسخر منها . فعندما يلحظ رد فعل عادل وزهدى على اشمئزازه من وصف زهدى لاصابع ابي صابر يقول في نفسه : "اعرف يا عادل بماذا تفكر . اعرف تنهمني بالبرجزه سجان مغير الاحوال لم يبق الا ان تعيرني بالبنطلون والقميص المكويين كما فعل بائع الخبر اهذا ما يسمونه بالانسلاخ الطبقي ؟ لالا؟الانسلاخ الطبقي يكون بالفكر فقط ". فاذا كان الانسلاخ بالفكر فلماذا لا يتصرف اسامه وفقا لفكره وهل يدفعه فكره للاشمئزاز وعدم اللياقه الاجتماعيه . انما الكاتبه هي التي فكرت باتهام اسامه بالبرجزه وادخلت ذلك الى حواره الداخلي بصوره مفتعله . وهذا خطأ فني وقعت فيه الكاتبه كثيرا .

وفي مطاف اخر من الروايه يدور حوار بين اسامه وعادل العامل ، يحاول اسامه فيه اقناع عادل بأن الناس في الداخل ايضا مسؤولون عن الصمود ، فيسأل عادل : "واذا جعنا فكيف نصمد". يرد اسامه : "الجوع يفجر الثوره. لماذا تبتسم ؟ هذه نظريه معروفه .الا تفهم؟" .ان الكاتبه هي التي ابتسمت وليس عادل مما يظهر الخلفيه الساخره للكاتبه على الافكار الثوريه .

وثمة في الروايه مطبات فكريه اخرى . فمثلا تركيز الكاتبه على الفكره الطبقيه والتأكيد على أن التناقض الاساسي في فلسطين المحتله "غربها وشرقها" هو التناقض الطبقي بين رأس المال والعمل بغض النظر عن انتماء الاثنين القومي . ان الفكره الطبقيه لديها تأتي تقريبا في كل حوار دار في الروايه وعلى لسان كل الشخصيات الوارده سواء الثانويه منها او المركزيه ، في الوقت الذي نهمل فيه العامل الوطني وننقص من دوره والواقع ان مجرد وجود الرأسمال والعمل اليهوديين في فلسطين يشكل اجحافا عظيما واخلالا كبيرا بحق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره . والواقع ان عادل وزهدى العاملين العربيين هما اقرب لصاحب المعصره العربي منهما الى شلومو رغم انف الكاتبه وذلك على الاقل في مرحلة التحرر الوطني ضد الاستعمار الصهيوني او في مراحل هذا النضال الاوليه التي ما زلنا فيها ، وهذا لا يعني عدم ضرورة في الوقت ذاته التمييز بالتعامل بين العامل اليهودي والرأسمال اليهودي والاستفاده من التناقض فيما بينهما لصالح الحركه التحرريه الوطنيه والاجتماعيه في المنطقة وتصعيد هذا التناقض الى ان ينخرط العامل اليهودي في النضال الثوري ضد الاسرياليه والصهيونيه . لكن التركيز على الجانب الطبقي "مع أن تضالنا هكذا بأساسه" الى حد اعتباره الاساس والمحور يوقعنا في منزلق العاطفيه الطبقيه والدوغماتيه باسم التخلص من النزعه القوميه الشوفينيه التي سيطرت على الاعلام العربي مده طويله ، او باسم الاممية المثاليه .

وما يثبت ان فكره الكاتبه وشعورها الطبقي محض افتعال هو ان افكار التعايش والسلم والاخاء (من حيث وجودها او افتراض وجودها) ، والتي تنقلها لنا على لسان ممثل فكرتها عادل العامل تتراجع متقهقره حين يتدخل العنصر الوطني . فعندما اندلعت المشاده بين زهدى وشلومو ردا من زهدى على استفزازات شلومو لشعوره الوطني ينسى عادل كل هذه المفاهيم ويتدخل في المشاده لصالح العمال العرب . ويثبت ذلك ايضا محاولة زهدى التشكيك بصحة وجود هذه المفاهيم ورؤيته بأن الواقع يخالفها .

ان الافكار الطبقية التي يمثلها عادل قد اصطدمت هنا بالواقع الذي فرض نفسه على

Digitized by Birzeit University Library

الكاتبه وأجبرها على التراجع . ولو كانت فكرة الكاتبه واقعية فعلا وقائمه موضوعيا لدفعت عادل للتصرف تصرفا اخر ازاء المشاده .

ونمه امثله كثيره من هذا النوع في الروايه تشير الى ان الكاتبه تؤمن بفكره تريد نقلها لذهن القارئ لكن الواقع وحرصها على الحقيقه يوقعانها في تناقض تضطر له وتتراجع جزئيا عن افكارها . فمثلا عند الحوار الذى دار بين عادل واسامه حول العمل فى اسرائيل ، اوردت كل الحجج على لسان عادل لتأكيد فكره ان لا مفر من ذلك لخوض "معركه الامعاء" لكنها رغم وضعها لعادل كمدافع عن العمل ورافض للتمسك بالامجاد جعلته ، لتحتفظ بخط الرجعه ، سكرانا واشارت لنا بذلك لكي لا "تقبض" كلامه تماما . فتقول معلقة : "ثم وقف وواصل هذيانه" ، اى ان عادل كان يهذى وهذا يضعف الفكره التي دافعت عنها على لسان عادل الهاذى . وهذا خطأ فني آخر يضعف الحجه والروايه .

مطب فكرى آخر تقع فيه الكاتبه حين تدفع عادل لان ينسى عمدا الاله التي يستخدمها والده بدل الكلى في البيت المراد نسفه وتدعي بعد ذلك انه فعل ذلك ليحقق انسانيته لان والده اصبح عله عليه وعلى العائلة وفي موته عمل اخلاقي يخدم مصلحة العائله والافراد التسعه ، ومقارنه في مشهد دراماتيكي اذ يتذكر عادل وجد الضابط الذى حمله على كتفه وحقق بذلك ايضا انسانيته فتسرد الكاتبه : "واندفع نحو الضابط وهز كتفه بيده . التفت الضابط ، تأمل وجهه الغريب بدهشه ، هذا الوجه هذا الرجل اتذكر يا ابو الشباب حين حملته على كتفك؟ نزعت نجومه وحملته . فقد حملت انسانا

حينذاك . واحسست بانانيتك تتسع . تتكثف من خلال انانيته تدفقت انسانيتك . والوالد حملته ، طويلا وعندما اصبح وجوده يهدد انسانيتك ..." تتوقف الكاتبه وتضع ثلاث نقاط يفهمها القارئ كبديل لكلمة "قتلته". اى انسانيه هذه التي تكتفت لدى عادل عندما يحمل ضابطا مقتولا في شوارع البلد المحتل؟ واى انسانيه هذه التي تريد الكاتبه من الشعب المحتل ان يكتفها ويدفقها موت ضابط احتلالي يمثل الاستغلال والاضطهاد وفرض التأخر ؟ ان انسانيه المضطهد في الواقع لا تتحقق الا بطرض الاحتلال وقتله . بسيطه ، يبدو ان الكاتبه مثاليه جدا وماركسيه جدا وانسانيه جدا لدرجه نسيت معها وطنها وشعورها الوطني وجسدت انسانيتها باحتضان من يمثل الاحتلال والاضطهاد باسم "الانسانية "المزعومه . واكثر من ذلك ، تقارن حمل الضابط بقتل الوالد لانه وقف في طريق الحياه الاقتصاديه المعيشيه للعائله وبرهنت "فعلا" ان الدافع الاقتصادى للحياه اليوميه التافهه اقوى من الوطن والشعور الوطني والكرامه اليست هذه فكرتها ؟ الم يقم الكتاب (الروايه) على هذا الاساس ؟ عفوا يبدو لي ان الكاتبه "ماركسيه" اكثر من ماركس اذ تقول على لسان زهدى محدثا نفسه ردا على قول عادل الاسير "في سبيل الوطن تهون الحياه "، "... سبيل الحياه يهون الوطن . انت قلت هذا . ماركس قال . انت قلت ام ماركس قال ؟ لا اعرف" ان من يقرأ هذا الا يستطيع منع نفسه من التساؤل : اى حياة هذه تريدها لنا بعد ان يهون الوطن في سبيلها ؟ اى حياة مذله ، وضيعه

وتافهه تريدنا ان نتطلع اليها ونضحي بالوطن من اجلها ؟ ولتسأل الكاتبه نفسها : ابا لخبز وحده يحيى الانسان؟ ان ماركس لم يقل هذا ومتى لو قاله لما اصبح ماركسي . ان ماركس لم يقل : " ليس للعمال وطن الا ليدفعهم في طريق تجاوز الحياه اليوميه المذله في ظل المجتمع الذى يفقد الانسان فيه انسانيته ويغترب عنها ، الا ليدفعهم للنضال ضد خوض حروب قوميه ضد الشعوب المستضعفه لتعيش برجوازيتهم متنعمه . لكنه لم يقل ذلك للعمال الارلنديين ، بل حثهم على دعم برجوازيتهم في نضالها لتحقيق الاستقلال الوطني . ان الكاتبه تريد ان تقنع الشعب بأن يتخلى عن النضال في سبيل الوطن ويعمل لاجل الحياه اليوميه والكدح من اجل اللقمه حتى ولو كانت مغموسه بالذل "والكاتبه نجحت في تصوير هذا الذل الذى يجيل العدو به لقمه العيش التي يقدفها بفم عمالنا في الداخل

اما من الزاويه الفنيه فقد اوردنا عدة ملاحظات حتى الان ولكن يمكن ملاحظة عدة

Digitized by Birzeit University Library

مأخذ اساسيه تنقص من قيمة الروايه على الصعيد الفني .

لقد ارتكزت الروايه على حشد كبير من الصور والمشاهد من حياة شعبنا في الارض المحتله ، وقد بدا هذا الامر مفتعلا اذ جمعت الروايه كل ما يمكن ان يعانيه الشعب في الارض المحتلة ، وبذلك هبطت بمستوى الروايه من مستوى الابداع الفني الجمالي الى مجرد التسجيل التقريري والوصف العابر مما اضعف البناء الدرامي للروايه وابعدها عن مصاف الروايه الخلاقة الابداعيه التي لا تكتفي بالوصف والكشف مع انها تتطلبهما بل تخلق وتبدع صورا ورموزا تعمل على دفع الحياه الى الامام لا مجرد تصويرها حياديا . لقد نبنت الكاتبه لنفسها منهج الواقعيه في الادب لكنها اغرقت في واقعيتها ، وبدل ان تخلق لنا شخصيات جديده تتطلع الينا ونتجسد فيها مطامعنا وطموحاتنا وامانينا صورت لنا شخصيات هدفت احيانا ، باسم واقعيتها الى اظهار تواقصهم وضعفهم وتناقضاتهم لتنقل بصدق ما هو قائم ، ان الروايه ليست تسجيلا تاريخيا يجبر الكاتب على ايراد الحقائق والوقائع مجرده بل انها تدخل انساني فعال لتصور الواقع وشق طرق ومسارب جديده لتطوير الواقع ودفع الحياه الى الامام . اننا لا نحتاج الى الروايه الواقعيه لنتعرف الى صوره نعايشها يوميا بل نحتاج اليها لتلهب حماسنا وتثير مشاعرنا وتليهمنا في نضالنا من اجل التقدم والتطور وتحقيق الاماني اننا نحتاج من شخصيات الروايه الواقعيه لا الى ان تطعن فينا شوقنا للخلاص من النواقص وشوقنا لاخذ رموز تليهمنا وتوجيه مسيرتنا ، بل الى شخصيه تحفزنا تدفعنا وتزيد من تفاؤلنا وأملنا بالحياه . ان شخصيات الصبار كلها تطعن فينا هذا الشوق فكل ما يصادف القارئ شخصيه ما يقول انها هي التي ستجسد امانيه وتطلعاته ولكن الكاتبه تصر الا ان تكون واقعيه جدا وتطعن هذه الرغبه . فاسامه انفعالي رومانسي ضيق الافق وعادل الاسير متعجرف انعزالي متعال وعادل العامل يصفه اخوه بأنه جبان لا يستطيع مواجهه الواقع بصراحة ، ويدفعه يأسه الى الرغبه في الموت للتخلص من الحياه واعبائها وهو نفسه يحقر نفسه عندما يقارنها مع من ماتوا ودخلوا السجون ويقر بانه بطل في الحياه . اما زهدي فيفصل زيت الخروع على تحليلات عادل ويكتشف ان الوطن يهون في سبيل الحياه وأي حياه ؛ وبعد السجن يتوجه للعمل في اسرائيل مباشره دون ان يفكر بايجاد عمل غيره ويتورط تورطا في المعركه الاخيره . نوار هي ايضا شخصيه ضعيفه يكفي لتصويرها ذكر ما قال فيها احوها نحب مناضلا ولا اعرف كيف يحب اي مناضل فتاه ماتعه كنوار . ولينه بعد ان وضعها اسامه بأنها طلبه فانها تعترف فورا عند الاعتقال مع ان الواقع يعطينا امثله حيه عن صمود فتياتنا في الاعتقال . لم يبق لنا سوى باسل الذي يمثل الجيل الصاعد بتطلعاته وانطلاقه ولكن هذه الشخصيه ليست مركزيه وهي ما زالت في عهد الصبا ولتخيب املنا منذ البدايه تشير لنا الكاتبه على لسان اسامه انه يمكن ان يصبح غدا كعادل اخيه عندما يواجه اعباء الحياه . "بالادراك" ان الكاتبه لم تترك امام املنا بابا الا واغلقته باسم الواقعيه

لقد أصرت الكاتبه على ان لا تتخذ من احدى شخصياتها منيرا لفكرها وهو الاسلوب الامثل لنقل الافكار للقارئ وتوجيهه بل جعلت من كل شخصيه سواء مركزيه او ثانويه جدا جدا ناطقة بلسانها . وتنبع من هذه الملاحظة ملاحظة اخرى هي ان الكاتبه تحاول ليس فقط ان تترك شخصياتها تتكلم بفكرتها بل تفرض نفسها على تفكيرهم وتتدخل في شخصياتهم اعتباط . فمثلا تترك زهدي الذي صورته لنا شخصيه عماليه بسيطه يفك الحرف بصعوبه تتركه يتوصل الى استنتاجات تروتسكيه وطبقيه عميقه حين يهاجم ستالين (راجع الاقتباس ص أ "٥") فلو تركت عادل يتوصل الى هذه الاستنتاجات لاصبح الامر طبيعيا ومنسجما مع شخصيته . هذا يدل على ان شخصيات الروايه ليست مستقله بكيانها بل يشعر القارئ بالتدخل الدائم من جانب الكاتبه في توجيه الشخصيه ودفعها . والواقع ان الكاتب الفنان يستطيع تحديد المعالم الاساسيه لشخصياته وبتركيها تتصرف لوحدها وفقا لما تمليه عليها طريقة تفكيرها وسمات شخصياتها ."ان الكاتبه لم تنجح في ذلك .

حاولت الكاتبه ادخال كثير من الشنائم

Digitized by Birzeit University Library

والالفاظ السوقيه النابيه الى درجه ما "لنقل الاجواء الشعبيه بأمانه للقارئ" كما قالت حنان عشراوى في مقدمتها للروايه . لكنها اسرفت في ذلك الى حد الافتعال هذا من جهة ومن جهة اخرى لم تحسن الكاتبةاستخدام اللغة العاميه (وردت ملاحظة من هذا النوع في نقد للصبار نشر في البيادر واعتبره صحيحا) . فمثلا كانت شخصيه واحده تتكلم مره بالعامه واخرى بالفصحى وربما في الحوار الواحد . وفي اماكن اخرى نرى نفس الشخصيه تتحدث بالعاميه ولكنها عندما تخلو لنفسها وتحاور ذاتها تتحدث بالفصحى واعتقد ان هذا خطأ من الناحيه الفنيه لان التفكير يتم باللغه والمفاهيم التي يعرفها الانسان ويتبناها ، فمن يتكلم العاميه دائما لا يستطيع التفكير الا بالعاميه .

لقد اختلطت في جنبات الروايه تعليقات الكاتبةبأقوال وأحاديث الشخصيات ومجواراتهم الداخليه الذاتيه حتى ان القارئ لا يعرف بعض الكلام على لسان من قيل او اذا ما كان هذا الكلام من تأملات الشخصيه ام تعليقات الكاتبه نفسها .

خطأ فني آخر هو التداخل اللامنطقي للاحداث على الصعيد الزمني وتظهر هذه واضحة مثلا عندما يتحضر باسل لاحتمال الاعتقال على ضوء اعتقال لينه ومع ذلك يجرى حوارا مطولا مع اخته عن صالح وعلاقتهما . فليس من المنطقي ان تنقل الكاتبه هذا الحوار في هذه اللحظة من الروايه لان الاهتمام باحتمال الاعتقال ودمار امور كثيرة يجب ان يكون اقوى عند باسل من قضية علاقة اختهبصالح ، والكاتبه تلاحظ ذلك وتستدرك نفسها بعد فوات الاوان فتقول : " وتذكر مشكلته الرئيسيه .. لينه .. الاعتقال احلّد للصمت واذناه يصيخان السمع الى ما قد يفاجأ به دون سابق انذار . ماذا لو حضر اليهود ؟!.." ومن جهة اخرى ، فان التصادف بين تنبؤ باسل وتحذيره لاخته من احتمال وقوعها في مأزق ان يخطبها انسان آخر يطرح شروطا مقبوله ومغريه ، وبين وقوع ذلك فعلا وبنفس الشروط المغريه التي طرحها باسل ، لا يعتبر هذا التصادف طريقه فنيه كفؤه لتسيير احداث الروايه المتقدمه .

لقد برهنتالكاتبه في تصويرها لبعض الاحداث انها لم تعايش التجربه بنفسها بل سمعتها (مثلا تجربة السجن) ولكنها ابدت ذكاء وقدره على التخيل كفؤه اذ استطاعت نقل القارئ الى اجواء لا بد لمن يريد ان يتخيلها ان يكون له صله بها ، اما ان يكون قد عاشها واما ان يكون قد سمعها عن قرب وبالتفصيل . ومع ذلك تبقى هذه الملاحظة عابره ولا يمكن تعميمها بل تقتصر على نقاط صغيره مثل اهمال السجناء لزهدى بمجرد معرفتهم انه يعمل في اسرائيل مع ان الامور في الواقع لا تسير كذلك .

ان الكاتبه رغم النواقص الفكريه والفنيه التي ظهرت في روايتها "الصبار" لا انها اظهرت امتلاكها لامكانيات وطاقات عظيمه نتأمل بأن تفجرها بعمل اكثر كفاءه واعمق تأثيرا على النفس لتغني ادبنا الفلسطيني وتطوره .الى الامام

واذا كنا في نقدنا قد قسونا فذلك حرصا منا على الادب بالاساس وعلى فكر جمهور الادب ووعيه اذا كنا ننتقد ونقسو فذلك لكي نبعد النقد عن المجاملة والتفريط المنذلين ، لان اسهل طريقة لقتل الادب ومنع تطوره كما قلت سابقا هو "الطبقية" على كتفه واعتباره نهائيا اننا اذ نقسو على ادبنا منذ طفولته فاننا نسعى لان نجده صلب العود قوى البنيةوالشخصيه في شبابه ورجولته .

واخيرا امل ان اكون قد اعطيت الروايه حقها من حيث وضعها في مكانها الصحيح ضمن اطار الادب الفلسطيني واشرت الى سلبياتها دون ان اقلل من شأن الروايه او كاتبتها ، ومن التعبير عن رغبتي وحرصي على ان تتطور الكاتبه لتعطينا من طاقاتها ما هو اجود واكثر تطورا وجمالا . كما ارجو من الكاتبه ان تكون ارحم مع الانتقاد لانتاجها ، لانها كما لاحظت من ردودها على الانتقادات ضئيلة الاحتمال امام الانتقادات وتسارع الى الغضب . والسلام .

ارجو الاحتفاظ بالنص سليما حتى يتسنى لي حفظه الى ان تتاح فرصه نشره او نشر صيغه معدله له في المستقبل .

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

اليقظة

جميل حسين الحوراني

من ورشة لاخرى كان يتنقل .. لم يكن يمكث في الورشة اكثر من شهر ، ربما اقل بكثير في بعض الاحيان .. خفة ظله ، خفة روحه ، صدقه ، تواضعه ، بساطته جعلته دائما يحتل مكانة طيبة في قلوب من التقى ويلتقي بهم من العمال رسائل كثيرة يستلمها ، يرسلها بعض العمال الذين اشتغل معهم . يستفسرون عن احواله . صحته ، ويطلبون منه العودة ..

لم يكن بالعامل الكسول ، لذلك كان محبوبا عند اصحاب العمل ... كعادته في تلك الامسية راح يذكر بعض زملاءه في العمل امام امه . فتقول معاتبة بعد ان ترك العمل .

– طالما يحبونك . لماذا لا تعود تشتغل .

تردف مستطردة في لومها وعتابها :– يا بني تنكة الكاز ثمنها (٠٠٠٠) ، وكيس الطحين حقه (٠٠٠) من سيصرف على البيت . هل ستبقى هكذا وانت تقول انا . (٠٠٠)

توقفت عن الكلام ، عندمارأت مجموعة من اصدقاءه يدخلون ساحة البيت . وضعت خرقتها البيضاء المرقعة المفعمة برائحة الطابون . وقالت لاحدهم :

– "سمير" والله صحيح امك عمرها ما ركضت وراء الحرام ، كنت اريد ان احدث صالح عنك سبق رفاقه مسرعا جلس امامها قبل ان يرد السلام : "تحية المساء" وكعادته قال :

– ها خير في واحدة من بنات البلد شكت مني علـيّ ؟

تطلعت الى ولدها .. بينما اخرجت من كم ثوبها علبة خضراء ... وراجت تستنشق "الزعوط" وهي تحدق في وجهه وبصوت الموعظ والمنبه المرشد . المحذر قالت :

– آه . لا تحسبوا بنات الناس (٠٠٠٠) يجب ان تعرف ان طريقهن شوك ، واللي يمشيها وراهن ما يلوم ولا يعيب الا نفسه . لانه لازم يتعب .، ووالدك وصله الخبر وطلق من امك بالثلاث اذا طلع الكلام صحيح ، لن تنام في دار له .

تسللت يده الى جيب احدهم . واختطفت سيجارة . ولم يكن يبدوا عليه تأثره . خوفه من حديثها .

– أنا والا ابنك يا " صبحة " .

دفعه احدهم بيده قائلا .– ما في عندك احترام . قل لها يا حجة .. صحيح ان راسك فيه

Digitized by Birzeit University Library

بعد ان اسكته ببعض الكلمات قال :

ـ انا والا ... صالح الملعون . رجلاه سقطن ، من طريق العين .. اسأل عنه الشباب .. يقولون " تحت الخروبة " قاعد ...

نهض من مكانه ، وجلس في مكان مقابل لها . وبدأ فمه يبث (كصوت العرب)

ـ والله صالح افندى ، ابنك آه ابنك . والا انا الله يكون بعونه .. آه لو تعرفي ؟ لا تنغرى فيه ثوب الدين الذى يلبسه امامك . يخلعه فور خروجه من عندك اقترب منها اكثر ليهمس في اذنها بعد ان قالت مندهشة :ـ لو الكل عملها صالح ما يعملها

ـ بيني وبينك يلف ويدور حول بنت عبد الله الدكنجي ، هي التي يجلس معها تحت الخروبه ويأخذها معه لنقابة العمال . والتي ....

كان صالح مشغول بقراءة البحث عن وليد مسعود الا ان همسة سمير التي رنت كلماتها اذنيه . جعلته يتململ ، ويحرك لسانه بعد صمت طويل .

ـ على كلٍ الهدف من علاقتنا . ابعد مما تتصورا ..

تنحنحت امه . ثم اردفت . وهي تنظر اليه خائبه ..

ـ ابعد . والاقرب انا ما قدرتي ، ابحث عن واحده اهلها مثلنا .

× ×

لم يكن يفكر بما ، وكما يفكرون ، العلاقة غريبة بعيدة المدى ، عميقة المغزى ، هي نفسها بنت عبد الله الدكنجي لا تعرف منبه الحقيقة ، لم يلفظ ولو مرة . كلمة من كلمات الهوى على مسمعها . لم يشعر نحوها اكثر من انها فتاة متعلمة ، مدركة للامور ، يريد ان يسيطر على تفكيرها . لتسير في طريقه .. يعرف والدها الجشع لكنه لا يقدر ان يتحدث معه اما هي يريد ان يجعلها تعرف الفلاح ، العامل ، حقوقه ، واجباته .. حتى تتصرف معهم (العمال) باسلوب افضل منه ، دائما كان يحاول ان يظهر موقف والدها الانتهازى ، وما يضع يده عليه من مال وممتلكات . مصنع ، دكان . واكثر ربع أرض البلد . يشتغل فيها اناس ... ربما منهم من كان منها ملكه . يوما ما .. ولانهم لم يقدروا على تسديد ديون الدكان .. اخذها " رهينه " .. ، وها هو العلاء يخل في عظامهم يدفعها لتجلس معهم عند الاصيل تستمع اليهم فتعرف آلامهم . معاناتهم ..

يناولها كتبه بسخاء . فتقرأ .. يصطحبها معه للنقابة .. ، علمها الركض ، وقلبها يقفز من احشاءها .. ، روحها . قد سبقتها ، الى عمل تطوعي .. فتعانق العمل والعمال بحرارة .. والدها لا يعرف من ذلك شيئا .. وظيفته يحاسب يجمع ، يطرح .. وعلى البنك يركض ...

× ×

تألقت ابتسامه فوق شفتيه . كنجم ظهر وجه في ليله ضباب . بعد ان انزاحت الكتلة الضبابية عنه .. ، عندما لاحقه صوت صديق له قال له بعد ان سأله عن طبيعة العلاقة بينهما .

ـ والنبي انك لازم تموت ابشع مونه ...

ـ يا صاحبي . علاقتي معها . جاءت تجربه . امتحان خضته بعد ان راودتني فكره . هي ان الصراع بين الطبقتين الكادحة والبرجوازية .. ، الاولى التي تحمل هموم الانسان والارض بدافع الحب . من اجل البناء والتقدم العام . بينما الثانية تنظر لها على انها وسيلتان . لتدفق الفلوس في جيوبهم بأى شكل كان . والكادحه هي التي تدفع الثمن الباهظ .. ، وربما بل مؤكد ان هناك حاجز نفسي بين ابناء الطبقتين ولنقل بين الطبقتين . وعلى الشبيبه المتعلمه . ان تكسر هذا الحاجز . بطريقة سهلة .. ، من خلال اقامة العلاقة الطيبة بين الشبيبة ... فمن هنا نستطيع ان نستفيد نحن .. ، ونغير شيئا ما . مما يحملونه من افكار .. ، ونغير مواقفهم .. ، ومواقعهم .. ، وليكون ذلك بطريقة مؤدبة .. بعيدة عن التكلف ، حتى لا يشعر انك تريد مصه بل اشاره بأنه مثلك ، وعليه واجب كانسان في هذا البلد .. العالم .. ، فمن هنا علينا ان ندمجهم في الاعمال والمسؤوليات العامة .. ، امه ، سمير ، الحاضرون جميعهم . كانوا يراقبون شفتيه المتحركتين ، سكون جسده ، نهض عن الفرشه التي كان يتمدد عليها على البرنده .. ، دخل الغرفه في صمت محوا بالغضب عندما قال له

Digitized by Birzeit University Library

سمير سافرا .

ـ لن تنقص يا سيدى نسيت البنت التي قالت عنك " واحد يقزز "

عادت به الكلمة الى صاحبتها بنت الدقيق عبد الرحمن .. عندما كان في الثانوية . كان الجميع يعرفه . الطالبات خاصة يميزنه عن غيره احيانا ، بنظاله المرقع ، لحيته الطويلة التي لا يحلقها الا مرة في الشهر ، حذاء الذى لا يدهنه كثيرا .. مشيته الصامته ، كأنه بلا لسان .. برم شاربيه الصغيرين وهمس

ـ بسيطه . لا لوم عليها . لا تعرف اني كنت احرم نفسي من اشياء عديدة .. لاشترى مجلة ، جريدة ، ادفع ، اتبرع لبنيم ، او احد الطلبه عندما كان يعتقل ، ...و...و...

اقترب اكثر من المرآه الموضوعه على الطاولة فرت من عينه دمعه .. ، وولد الحزن في نبرات صوته .

ـ لماذا مجتمعنا . مجتمع البدلات ، والمساحيق العطور ؟ لماذا عندما يجلس الانسان امام المرآة ساعات الصباح ليضبط نفسه ، هندامه ، شعره .. ويمسح وجهه .. ويتأمل كل مسامة من مسامات وجهه ، شعره من شعر رأسه ..لماذا لا ينظر الى نفسه؟

دق الطاوله عدة مرات .. وامام عينيه انبرى لوح اسود .. يريد أن يحطمه .. يزيحه من امامه ليبصر الحياة .. الانسان جميل :ـ لماذا لا نصعد الى فوق لماذا لا نتخلص من المظاهر لماذا ؟ لماذا ؟ قرأت له صورة صديقه الذى حته بقولها : عندما كان يقف معه ذات ظهيرة .. يتحدثان عن مؤتمرات القمة ... ، وكانت قد مرت عنهما .. واشار له بأنها صديقته .. ، بينما صالح لم يكترث لها .. ، لم يدع بؤبؤ عينه يلحقها

كان "سمير قد تحدث كثيرا "لصحبه" عن معلمه"شلومو" والعمل المريح عنده في الشركه ، وفي نهاية كل اسبوع يعطيهم اجرتهم ، بعد أن طلبت منه أن يبحث عن عمل لصالح ، زعق سمير ـ يا ولد . يا صالح . تعال . اذا كنت تريد الشغل بحق لاقيني على الباص الساعة خمسة ..وبدأت اسئلة الاستفسار عن مكان العمل طبيعته ، اجرته .

مضى نحو العمل .. اشتغل اكثر من عشرين يوما . كانوا يلقبونه . في العمل بالاستاذ صالح لاخلاقه وحسن معاملته سر مته شلومو . كثيرا . انه ليس عنيدا ، كبعض عماله .. عاهده امام العمال ان يعلمه السواقة . ويطلع له رخصة ...

كان صادقا في قوله نيته ، كان يجعله يستلم امور قيادة السيارة . ويراقب العمال احيانا في فتره غيابه ... ذات يوم كانت فيه الشمس تصبغ جلد الانسان بالسواد ، وتجعله يهرب ليستظل بجدار . تذكر امه والعرق ينصبب من كافة جسمه متى ستقبض .

رفع ظهره ، القى بالطوربة جانبا . واستلقى على ظهره فوق كوم التراب ، وطلب من احد العمال ان يخبره فور رؤيته (شلومو) حتى لا يراه كسولا ... فيطرده ...

حاول النوم لبضعة دقائق .. ولكن الصور المتلاحقة ... طموحاته ، المدرسة ... الجامعة التي لم يقدر على وضع قدمه فوق عتبتها ... وسرقه الماضي ... متمتما .

ـ طيب تعب اثنى عشر عاما .. وانا اقرأ ليل نهار . حتى اصير مثل الحاجة (فولا) اصير صحفيا . لاحكي للعالم كله عن شعر (خديجة) الذى احتفظت به في اكياس النايلون ، وقفت متجمدة امام عينيه عده صور العلم الذى رفعه فوق المدرسة . الزجاجات الفارغة الاحجار التي ضربها مع زملاءه .. ووضعها في الطريق .. الاطارات التي اشعلها .. الهتافات ...

واحس بصوت من اعماقه يتصاعد نحو اذنيه .

ـ واحد منافق . كذاب . ليس لك مبدأ ... اين ايمانك .. ماذا تعني الحجارة الهتافات . واليوم تبني (لشلومو) بيوتا .. عندكم ارض صغيرة .. احرثها . ازرعها . اليس افضل ... والا الطمع .. لا يدرى كيف صرخ تلك الصرخة المدوية . التي جمعت العمال حولـه ...

ـ انا لن اشتغل هنا .. لن اشتغل .

حاولوا معرفة السبب .. ما الذى حدث .. ولكنه لا يردد سوى انا . انا . أنا .. لن .. لن .. وعلى تعقبه كان شلومو قد حضر مسك به ... وقدم له علبه السجاير . متمتما . بعد ان رفض اخذ واحده ـ ما بك ـاهدأ ـــ اهدأ ...

Digitized by Birzeit University Library

وبلهجة حامية . شديدة ـ اعطني اجرتي .. اعطني بسرعة ... ناوله اجرته معتقدا انه سيعرف السبب ، سيرضيه .. وبعد ان تناولها عاد يصرخ في وجهه :

ـ لن اشتغل عندك . لو تعطيني مال الدنيا .. مالك كله ..

مسكه بيده ليذكره عساه يعود .

ـ غدا .. امتحان السواقة . بكره وحياتك الا اروح انا معك .. وبشرفي .. الا احضر لك الرخصة .. نظر اليه .. نظراته كانت مشبعة بضباب كثيف ، قطع من الليل الحالك .. هز رأسه .. وبينما هو يدير ظهره استعدادا للمضي قال بصوت مرتفع ـ ظ ..

انصرف مسرعا . ليحمل فأسه .. نحو قطعة الارض الصغيرة ... أحس وهو يضرب فأسه في الارض بارتياح شديد ، وكان صوتا من مكان لا يعرف . يسبح في الكون هام صالح عليـد .

شتي يا دنيـا تا يزيد موسمنا وبحلـى تدفق مي وزرع جديد بحقلتنا يعلى ..) .

تطلع حوله اكثر من مرة ليعرف مصدر الصوت .. وفجأة ولا يدري من اين خرجت له بنت الدكنجي قالت وكأنها تعاتبه :

ـ اين كنت طوال هذه المدة عنها " وهي تشير للارض"

بينما قال وهو يشد على يدها بيد واليد الاخرى يشد عصاة الفأس .. اليوم صحوت .... المهم اني استيقظت .. انتقلت الفأس الى يدها ضربت الارض .. تطلعا في كل واحد في وجه الاخر ... الارض .. فبدت جميلة .. وبدت معالم الغد المنتظر قريـب .

Digitized by Birzeit University Library

بوشكين

منشد الحرية

يكتب غوغول عن بوشكين : « ان بوشكين ظاهرة خارقة ، ولربما كان هو الظاهرة الفريدة لهذه الروح الروسية ، ان بوشكين هو الانسان الروسي في تطوره الذي يمكن ان يكون عليه ، ربما بعد قرنين من الزمن » ... ليس هذا القول هو اطراء لمقدرة بوشكين الشعرية ، قدر ما هو تنبؤ لما يمكن أن يكونه بوشكين في مخيلة الاجيال الشعرية اللاحقة ، فخطواته الشعرية الاولى كانت ايذانا بولادة اشكال فنية ومضامين قريبة من اعماق الانسان وانتهاء اللغة الارستقراطية المبجلة بدا الشاعر بوشكين محاولاته بالفرنسية ، الا انه في خضم الحرب التي شنها نابليون ، احس بوقدة الاحاسيس القومية تلتهب في قلبه ، فلم تكن غير لغته القومية معبرا ومحرضا ، ولقد اعتبر نفسه اذاك شاعر روسيا، يقدم الشاعر حسب الشيخ جعفر في ترجمته للشاعر بوشكين ، المصادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر « كم كانت مهنة شاقة ان يتحمل اعباء هذه المهمة شاعر واحد ، وهي التي تتطلب جهود جيل باكمله ، لقد اجتاز بوشكين الوحدة اللغوية والفنية المتكاثفة عبر قرن كامل ، بخطوة واحدة .. ليبدأ طريقه الشعري الجديد » ، اذن ان قدرة بوشكين ، تكمن في انه استطاع أن يفتتح لابناء قومه تاريخهم الادبي الانساني والقومي معا ، واذا كان الادب الروسي ، قبل بوشكين ، قد

Digitized by Birzeit University Library

اغنى عند هذا الشاعر او ذاك بهذه المحاولة الفنية الاوروبية او تلك ، فهو مع بوشكين انفتاح على الادب الانساني كله منذ هوميروالى بايرون ، وهو في الوقت نفسه ، امتلاء المصدر بالهواء القومي وامتداد الجذور عميقا في تربتها القومية ، فكان بوشكين اصيلا وجديدا معا ولعل مرد هذا التفتح الجديد الخارج من ظلمة القرن الثامن عشر الى اشراقة عهد الصراعات والمخاضات التي ستكشف عن رسوخ الثقافة الانسانية الحقيقية ، هو ان بوشكين ولد في العصر الذي يتطلبه ، فعام ١٧٩٩ هو عام ولادة الشاعر الذي تليه اعوامٌ نشوء اول الحركات المتطلعة الى هدم نظام القنانة الجاثمة فوق صدر روسيا ، فكان بوشكين يتردد على الجماعات الليبرالية من ضيوف « القنديل الاخضر » وفي منازل الديسمبريين ، وينظم مقطوعاته التي تترنم بالحرية ، فتروج سريعا بين الشباب ، سرية وبعيدة عن عيون الرقابة القيصرية .

آه لو ان لصدري القدرة على ان يهز النفوس .
لم هذا اللهب المتوقد ، عبثا ، في صدري
ولم تمنح لي موهبة الكلمة الرهيبة ؟
اتراني ارى شعبنا ، يا اصدقائي ، وقد تحرر
من جور العبودية بأمر من القيصر ؟
او لم يحن لفجر الحرية الوطنية الرائع
ان يشرق على وطننا اخيرا ؟..

فكان نعم هذا التوق والحنين الى الشروق الملاهب ، أن بطا الشاعر المأني وخلالها يزداد الشاعر غنى وينحو اكثر نحو البساطة المتجسدة في الطبيعة والاساطير الشعبية ، فمن اغاني الحصاد يتعلم بوشكين اللغة الصافية والحسية التي تركت اثرها في تناول الشاعر لاهم القضايا التي تعتمل في ذلك العصر ، ولم تشغله دعوة القيصر الى لقائه في موسكو عام ١٨٢٦ عن المهموم والمطموحات ، فيكتب وهو في كنف قيصر روسيا :

في اعماق المناجم السيبيرية
لتحتفظوا بهذا التحمل الفخور
لن تذهب عبثا مشقتكم الكئيبة
ومسعى افكاركم السامي
ان لتعاستكم اخا وفيا
هو الامل في الاقبية المظلمة
سيوقظ فيكم المرح والحيوية
ويجيء الربيع المرتقب
ان الحب والصداقة ، يصلانكم عبر الابواب
المقفلة القاتمة
كما يصلكم في اوجار اشغالكم الشاقة ، صوتي
الحر هذا
ستسقط السلاسل الثقيلة ، وتنقوض الجدران
المطبقة
وتحتضنكم الحرية في ابتهاج عند الباب
ورفاقكم يناولونكم المحسام ،

ولعل اهم النوايا التي كان يضمرها القيصر لكي يتخلص من الشاعر وهو في اوج ابداعه هي تورطه في مقتل الشاعر اثر مبارزة تحدي مع احد المخصوم بعد اثارة الاقاويل ضد زوجته الفاتنة ، كان ذلك عام ١٨٣٧ .

بوشكين بثار لشرفه ، كما بثار لاصدقائه المنفيين وابناء قومه ضد العبودية وهكذا كتب لبوشكين وقد عد نفسه شاعر روسيا الاول ان يتحمل الشقاء المظيم ، شقاء شرف الكلمة :
الا انهض ايها النبي ممتلكا السمع والبصر
ممتلئا بارادتي
ولتجب البر والبحر ، محرقا بالكلمة الافئدة ●

Digitized by Birzeit University Library

صفحة في اللغة

آثار حيوانية في اللغة

اعداد : فضل الزيادي

النّير : يقال نيّر الذل ، ونيّر الاستعمار . والنيّر في اللغة هو الخشبة المنحنية التي توضع على رقبة الثور حين يشدونه الى محراث او عجلة ، ثم استعيرت الكلمة لتدل على مبلغ الاضطهاد الذى يعانيه الانسان .

الكرّة : يقال أعاد عليه الكرّة : أى راجعة ثانية . واصلها من رجعة الحصان في المبارزة بعد فراره . ومنه قيل (الكرّ والفرّ) اى الهجوم والهرب .

قصب السّبق :

يقال (فلان أحرز قصب السّبق اى تفوق ونال المرتبه الاولى بين اقرانه . والاصل ان العرب كانوا يعيّنون لشوط سباق الخيل نهاية بعيدة لا ترى من مكان الانطلاق ، وكانوا يثبتون في تلك النهاية قصبة خاصة ، فاذا انطلقت الخيل بالمتسابقين وقف المشاهدون ينتظرون حتى تغيب الخيل عن العيان ، فمن سبق اقتلع القصبة وعاد بها ليعرفوا انه السابق . وصرنا اليوم نقول : أحرز فلان قصب السّبق في الشعر او القصة او الانتخابات مع أنه لا يوجد سباق ولا قصب .

الشكيمة :

يقال " فلان قوى الشكيمه " اى صعب المراس والانقياد تشبيها له بالدّابة التي تتأبّى على الشكيمة فلا يسلس قيادها .

والشكيمة هي : الحديدة في اللجام تعترض فم الحيوان مع ان الانسان لا يلجم ولا تعترض فمه حديدة اللجام .

الزّمام :

يقال (أخذ فلان بزمام الامور) اى تقلّدها وقادها اليه . وأصل (الزّم) هو ربط فم القربة او الكيس . ومنه قالوا : زم الرجل شفتيه : ضمهما وجمعهما . ثم انتقل المعنى من ربط فم القربة ثم فم الانسان الى ربط الانف حيث قالوا (زمّوا البعير) اى ربطوه من انفه ليسهل قياده وسمي الحبل الذى يقاد به البعير (الزمام) . وقد استعير (الزمام) للمعنويات فقيل : أخذ بزمام الحديث وأخذ بزمام الامور

المجال :

الفسحة والمكان . يقال " لا مجال للمناقشة فيه " اى لا متسّع لها . ويقال " المجال الحيوى ، والمجال الامني وغير ذلك " . واصل الكلمة من (الجول) وهو الجماعة من

Digitized by Birzeit University Library

الانعام والخيل ثم اختصت به الخيل ، وبسبب كثرة (جولان) الخيل بالقياس الى غيرها من الحيوان انتقل معنى الجولان الى المكان الذى (تجول) فيه الخيل اى تطوف وتدور فيه . الـدّر :

قالوا قديما (لله درة) اى ما أحسن لبنه لان الدّر في اللغة هو اللبـن . وقالوا من باب الدعاء بالشر : (لا درّ درّه) اى يتمنون له انقطاع الرزق . لانه اذا انقطع لبن ماشيته ينقطع رزقه ، فالعرب في الزمن القديم كانت الماشية مصدر رزقهم وقوتهم .

ويقال حديثا " هذا مشروع يدّر ارباحا طائلة " ويقال (استدّر عطفه) واصل الكلمة من (درّ اللبن) اى كثر واصبح غزيرا

الغنيمه :

أصل معناها : الكسب بلا مقابل . ثم اطلقت على المنهوب في غارة او قتال ، وما زلنا نقول جريا على المذهب البدوى في حق المنتصر في النهب (غنمنا الحرب) اى كسبناها ثم توسع في استعمال الكلمة فصرنا نقول (غنمت الشيء) فزت به . و (اغتنمت الامر) : انتهزته و (اغتنمت الفرصة) عملت على الاستفادة منها والظنّ أن اصل الكلمات السابقة جاء من كلمة (الغنم) فقديما قيل (تغنـّم) اى اتخذ لنفسه غنما . كذلك قالوا : (تغنـّم) بمعنى انتهز وافترص .

ويبدو ان الغنم كانت اكثر شيء تعرّضا للنهب لانها اسهل شيء على اللص ان ينهبه . وما دامت (الغنائم) في الاصل هي المنهوبات فالظاهر انهم قالوا اول الامر ان فلانا ذهب يتغنـّم بمعنى يتصيّد الغنم . فلما ثبت هذا المعنى صاروا يطلقون (الاغتنام) على كل نهب ولو كان فيه ابل او غير ذلك من نعم ومتاع حتى لو لم يكن فيه غنم اصلا .

اخذ بتصرف من كتاب مغامرات لغوية لعبد الحق فاضل

قالو .. بيروت

عطا الله قطوش

عرسك مضطرب .. وحزين
اسمع ان عيونك مأوى حيتان .. وصراصير
ما الخبر ؟
وابصر طلعتك النبوية في اسواق النفط
ولائحـة التسعـير
ما الخبر ؟
الاخبار سبايا / حرق / تقطير
سيدة البحر ... البحر ... البحر
كيف رشوا عينك بمشنقة بلهاء ؟
كيف دعوت الصديقين
فجاؤوا غرباء ... غرباء ... غرباء
آه ...
فوكالات الشاش
وزامور الغارات
السيلانات
الخطب الجوفاء ... الرعناء
جسور ...

Digitized by Birzeit University Library

مرى ... لا بأس
وقولي : يحيا الردع ... ومرج عيون
والموت الموزون ... الموزون ... الموزون
لا شيء لديك جميل
تبتهلين اليه
وتفتتحين على برعمه ... عرس النور
انتبهي
وجهك في صندوق الشاى
وأفيون ... افيون ... افيون
شمسك ترقص باب الليل
وانت على اوتار الجنس
وضمن الامتعة الشفافة للسياح
اقتربوا ... ابتعدوا
هجموا ... سكروا
ها ها ها ها
الطلقة وحشية
والجسد الهادئ مال ... ومال ... ومال
من يسمع صوتك
والانغام ملايين
كجرش ...
وتضاجع قمر الشرق
انثى الشرق
رجال الشرق
سيدتي
من يسمعك يكون نبيا
من يحملك هويته ... وعمامته ... وصلاة ابيه
يكون نبيا
لكن ...
ليس الوقت صباحا
ومناخا شرقيا ... شرقيا ... شرقيا
قومي
غطى دمك القبلة .. و التيجان .. وهرم الجيزة
من يمسح دمك
فيدك سدى
ومناديلك قبر ... ومراثي ... ومراثي
اى بيروت
اعتنقي دين الشهداء

الامراء
الكهان

انتفضي
يا ذن ناقوس الاحلام البحرية
والشفق النائم في صدرك
بالنجم يجيء ... يجيء ... يجيء
من السنة النار يجيء
لا الشطرنج
ولا الافرنج
ولا عينيك يصادرها مطاط القرصنة البحرية
ولا ....
ولا ....
ولا ....
قاموس دمائك شربين
وخيول تصهل
الزعتر يحفظ تاريخك ...
ويظل حنينك دين ... دين ... دين
الرشاش ... وبسمة صيدا
تكتب امواجك اشعارا
نقرأها
يقرأها طفل ... وطحين
قومي
امتدى
زيدى مره عمر الشهداء
الراية اكثر ضوضاء في برك الدم
الشك الخامل تحت ظلال الارز ... يقين
انتشرى
تقترب الحركات الحركات الحركات
نغوص باحشاء التنين
سيدتي
ان خطوط يدي تعترف
وتخلق اقمارا ... اقمارا ... اقمارا
من طيـــــن

Digitized by Birzeit University Library

شعر عبد الناصر صالح

اورفيوس يغسل قرص الشمس

يصعد اورفيوس (×)
من عزلة البحار المبعده
يغوص في الرّشي / يلعق الرماد،
ويحضن النسائم المقيّدة
يطوف حول الله والقبور،
مجنّحا مغمور
بالغيب والحضور.
يغسل قرص الشمس، يمسح السواد
ويحجب الكسوف
يا فرح الزيتون بعد رحلة المخاض والخريف
يطل اروفيوس،
درعا جليليّا ابيد
محطّما شرارة الغياب
يطل من خيوط الموج والمسافة
ومن مرافيء السحاب
يطل كالاله لا يهاب
رتابة الحدود والخرافة.

(×) اورفيوس: مغنّ مشهور في الاسطورة البابلية، كان يمارس الحب، وكان في وسعه ان يسحر الوحوش والاحجار والاشجار. فقد زوجته لانه خالف اوامر الالهه. اورفيوس، هنا، هو رمز للحب الذي لايموت

تعاويذ لم تكتمل بعد

ايتها الكلمات المحروقة /
يا وتر يضرب اعماقي
ويولد الحنين
ما جاء هذا العام ركب الظامئين.
ولم ترتّ البسمة العريقة
شامخة /
سحابه التجهّم العتيقة.

ايتها الكلمات المحروقة،
يا الم ينخز في قلبي منذ سنين،
معبّا بالليل والاسرار
يهطل كالامطار /
في وجنة المدى البعيد
والكنائس الغريقة.
يضرم من عطش الارض جريقة
ومن تقلّب الفصول
من عالم التزييف والوحول.

×

ايتها الكلمات المحروقة /
ساذرف الدموع
لانني اعترفت بالهزيمة.

Digitized by Birzeit University Library

هيا نزرع الأرض

في يوم العطلة ذهب أشرف مع عمته الى الحقول. أخذت العمة تبذر الفول في الأرض المحروثة.

قال أشرف: هل يمكنني أن أصبح مزارعًا يا عمتي؟

قالت العمة: بالطبع. خذ هذه البذور وازرعها عند بيتكم.

زرع أشرف حبات الفول ولكنه أحب أن يراها تنبت، فصار يكشف عنها التراب كلما مرّ من جانبها.

مرّت الأيام ولم تنبت الفولات فعاد أشرف الى عمته يشكو لها من فولاته التي ترفض الانبات

قالت عمته: لقد أخطأت يا أشرف لأنك لم تترك حبات الفول لتأخذ الدفء والرطوبة من التراب.

عاد أشرف إلى بيتهم حزينًا نادمًا ولكنه تعلم درسًا في الزراعة

وبعد أيام قلائل فوجئ أشرف بنبتات خضراء جميلة.

ففرح كثيرًا وركض ليُنادي أمه وأباه لكي يشاهدا نبتات الفول التي نجح هو في زراعتها.

بقلم وريشة: عمر أبو العقاب

Digitized by Birzeit University Library

في الذكرى ٦٤ لثورة اكتوبر

صادف يوم السبت الموافق ٨١/١١/٧ الذكرى الرابعة والستون لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، هذه الثورة التي رسمت خطا واضحا وفاصلا في تاريخ الانسانية ، وكرست نضالات ملايين العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وعززت نضالاتهم من اجل تغيير موازين القوى في عالمنا لصالح الطبقة العاملة ، والطبقات الكادحة الاخرى من فلاحين ومثقفين ثوريين ، وبهذه المناسبه ، فان اسرة تحرير الكاتب ، تهنئ كل الكادحين بعيد ثورة اكتوبر المجيدة ، متمنية لهم ، مزيدا من الانتصارات ، ومزيدا من تحقيق المطالب ، على طريق الحرية والسعادة الانسانية الحقة .

تحية للشيخ القسام في ذكرى ثورته العظيمة

صادف يوم السبت ٨١/١١/١٤ ، ذكرى ثورة الشيخ عز الدين القسام ضد الاستعمار البريطاني لفلسطين ، وبهذه المناسبة ، فان "الكاتب" تدعو القراء الى فتح ملف الشيخ القسام ، من خلال نشر تراثنا الوطني والقومي ، كجزء من تاريخ شعبنا الفلسطيني .

والشيخ عز الدين القسام ، علم من اعلامنا الوطنية والقومية ، قدم حياته على طريق النضال الطويل ، من أجل الحرية والاستقلال ، ومن أجل الحياة الحره الكريمة ، على تراب الوطن الغالي ، فتحية الى الشيخ القسام ، ولتبقه ذكراه خالدة فينا الى الابد .

Digitized by Birzeit University Library